صلاح البال، وأثره في تحقيق السعادة للفرد والمجتمع في ضوء القرآن الكريم

إعداد:

د/ مصطفى عبدالعزيز محمد ندوان

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

جامعة الأزهر

من ٧١ إلى ١٥٨

Peace Of Mind, And Its Impact On Achieving Happiness For The Individual And Society In light Of The Holy Quran

:Prepared by

Dr. Mustafa Abdel Aziz Muhammad Nadwan
Lecturer in the Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Zagazig, Al-Azhar University

صلاح البال، وأثره في تحقيق السعادة للفرد والمجتمع في ضوء القرآن الكريم

مصطفى عبدالعزيز محمد ندوان
قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر.
البريد الإلكتروني:moustafaNadwan.28@azhar.edu.eg

ملخص البحث

تناول البحث أسباب صلاح البال من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ وربطها بالواقع المعاصر، وبيان آثارها في تحقيق السعادة للفرد والمجتمع، مما يساعد في طرح المنهج القرآني بشكل مثالي، يظهر مقاصده الجليلة، وأهدافه النبيلة في سد الخلل الذي أوجده الواقع المعيش، وإعراض الخلق عن هدي السماء .

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة .

المبحث الأول: بينت فيه أسباب صلاح البال في ضوء القرآن الكريم، ومنها: الإيمان بالله – عزو جل–، وعمل الصالحات، والكف عن السيئات، والإيمان بما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقناعة بالرزق الحلال، وسلامة القلب .

المبحث الثاني: ذكرت فيه أثر صلاح البال على الفرد والمجتمع من حيث إنه يحقق الأمن النفسي في الدنيا والآخرة، ويجعل العبد يرضى بالقضاء والقدر، ويصبر على البلاء، وألا ييأس من روح الله – عز وجل–، مما يحقق استقرار الحياة المجتمعية والزوجية، ويساعد المؤمن أن يتخطي الأزمات، ويخرج من النكبات التي تواجهه في حياته .

الكلمات المفتاحية: البال؛ الفرد ؛ صلاح ؛ أثره؛ السعادة .

Peace Of Mind, And Its Impact On Achieving Happiness For The Individual And Society In light Of The Holy Quran

Mustafa Abdel Aziz Muhammad Nadwan
Department Of Interpretation And Quranic Sciences, Faculty Of Fundamentals Of Religion And Da'wah In Zagazig, Al-Azhar University
Email: moustafaNadwan.28@azhar.edu.eg

Abstract:
The research dealt with the reasons for peace of mind through an induction of the texts of the Holy Quran and the hadiths of the Prophet, may God bless him and grant him peace; and linking them to contemporary reality, and clarifying their effects in achieving happiness for the individual and society, which helps in presenting the Quranic approach in an ideal manner, showing its noble purposes and goals in filling the gap created by the lived reality and the people’s turning away from the guidance of heaven.
The research included an introduction, two chapters and a conclusion.
The first chapter: I explained the reasons for peace of mind in light of the Holy Quran, including: belief in God - Glory be to Him - and doing good deeds, refraining from bad deeds, belief in what was revealed to the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, contentment with lawful sustenance, and soundness of heart.
The second topic: I mentioned the effect of good mind on the individual and society in terms of achieving psychological security in this world and the hereafter, and making the servant accept fate and destiny, and be patient in the face of affliction, and not despair of the spirit of God - the Almighty - which achieves stability in societal and marital life, and helps the believer to overcome crises, and emerge from the calamities that he faces in his life.
Keywords: Mind; Individual; Goodness; Its Effect; Happiness.

المقدّمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وأبدعه على أحسن نظام، وفهم الألباب، وهدى الجنان إلى الإيمان، والصلاة والسلام على خير الخلق والعباد، وخير من دعى إلى الهدى والرشاد، إمَام الفُصَحاء، وفارس البلغاء، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين،،، أما بعد:

فإن صلاح البال نعمة عظمى لا يحس ولا يشعر بها إلا من وهبه الله- تعالى- إياها، فإن خزائن الأرض لا تنفع صاحبها إذا كان مشتت القلب والفكر، ممزق النفس، مضطرب المشاعر والأحوال، أما الذي ينفعه في دنياه وأخراه هو راحة البال، وطمأنينة النفس، ورضا القلب، والشعور بالأمان والسلام الداخلي .

وفي خضم هذه الحياة المتسارعة، والأحداث المتتالية يشكو كثير من الناس من شغل البال، وهَم النفس، والقلق والاضطراب، وتشعب الهموم وكثرتها، فيجتهد الفرد في مكابدة أعبائه الدنيوية، مُعرِضًا عن إدراك أهمية صلاح بَالِه، فصلاح البال هو طريق السعادة والراحة والتي ينبني عليها الفوز في الدنيا والآخرة .

والمتتبع لآي القرآن الكريم يجد أن صلاح البال هذا لم يذكر إلا في موضعين اثنين من "سورة محمد" صلى الله عليه وسلم – فتدبر ذلك وتنبه إليه, وسيأتي بسط الكلام عن ذلك بالتفصيل – إن شاء الله- فانتظره- .

والعبد الذي صلح باله، وخلص فكره وقلبه ، يكون أقدر على التصرف والنظر، وحسن الاختيار، وأبصر بمواضع الإقدام ومواطن الإحجام، لا يقدم عاجلاً على فانٍ، ولا لذة عابرة تورث حسرة دائمة، يؤثر نعيم الآخرة على متاع الأولى، فيورثه الله- عز وجل- نعيم الجنة في الآخرة مع صلاح الحال في الدنيا، من هنا زاد عزمي، وأحببت أن أقف مع هذا المعاني العظيمة من خلال ما ورد في كتاب الله العزيز والسنة المطهرة، وما سطره وأهل العلم، فاستعنتُ بالله تعالى، وشرعت في بحثي هذا واسميته بـــ:((صلاح البال وأثره في تحقيق السعادة للفرد والمجتمع في ضوء القرآن الكريم)) .

والذي أسعى من ورائه بيان أسباب صلاح البال، وأثره على الفرد والمجتمع، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يعينني ويوفقني، ويسدد خطاي، إنه ولي ذلك ومولاه.

أهمية الموضوع، وسبب اختياري له:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

١- إن لصلاح البال مكانة عظيمة في حياة الخلق، فهو مطلب عزيز، ومقصد جليل، وغاية تسمو إليها النفوس المستقيمة، والمجتمعات البشرية السوية .

٢- الحياة المعاصرة وما يتبعها من حالات القلق والاضطراب الذي طالت يده كل شيء، فاحتيج إلى بيان القول الفصل من خلال بيان المنهاج الرباني في معالجة هذه الظاهرة المتفشية .

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم صالح البال .

٢- بيان أسباب صلاح البال في ضوء القرآن الكريم .

٣- أثر صلاح البال على الفرد والمجتمع .

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يمكن أن تتضح مشكلة الموضوع من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- ما هو مفهوم صلاح البال لغة واصطلاحاً؟

٢- ما هي أسباب تحصيل صلاح البال من خلال آي القرآن الكريم؟

٣- ما الآثار المردودة التي يجنيها الأفراد والمجتمعات من صلاح البال؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث وقفت على بعض الدراسات التي تناولت صلاح البال بوجه عام، وهي:

الدراسة الأولى: ((صلاح البال وأثره على النفس))، للباحثة / أ. وسام بنت فتحي صبحي الشوا، باحثة بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، جامعة جدة، نشر بمجلة البحوث الإسلامية، العدد الرابع والتسعون، جمادى الآخرة، ١٤٤٤ هـ .

وقد اقتصرت تلك الدراسة على بيان مفهوم صلاح البال في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع بيان أسبابه، وثمراته بصورة موجزة جداً، ثم تطرقت

إلى بيان الاستخارة وصلاح البال، وهو العنصر الذي ارتكزت عليه الباحثة، وانصب جل حديثها عنه في بحثها .

الدراسة الثانية: ((فصل المقال في صلاح البال))، المؤلف/ هاني فضل محمد فضل علام، وهو كتاب منشور على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، نشرته دار اللؤلوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٤٤ هـ - ٢٠١٣ م، ولم استطع الوصول إليه أو الحصول عليه لكن يبدو أنه يعالج الموضوع بصورة عامة وليس بصورة أكادمية علمية متخصصة كما هو الحال في هذه الدراسة .

وهاتان الدراستان لم تتناولا موضوع البحث على النحو الذي فصلته وقسمته في هذه الخطة، ولم تشتمل على عناصره البتة .

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي[١]، والاستنباطي[٢] من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ لاستخراج أسباب صلاح البال، وربطها بالواقع، ثم استنباط آثارها في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع .

إجراءات البحث:

أولًا: استقراء الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع صلاح البال، أو تشير إليها ثم ترتيبها وتوزيعها على المباحث والمطالب وفق ما يناسبها.

ثانيًا: الاعتماد على أمهات كتب التفسير وعلوم القرآن في التحرير والتوثيق مع ذكر أقوال السادة المفسرين ناسباً لهم أقوالهم حسب مظانها، مع ذكر بيانات المرجع كاملة من حيث محققه، ودار نشره، في آخر البحث؛ لعدم إثقال الحاشية وتطويلها .

ثالثًا: الاستعانة بما ورد في السنة النبوية مما له علاقة بموضوع البحث .

رابعاً: التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد قدر الاستطاعة .

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية مُستَعِيناً على ذلك بالمُلاحَظَةِ والتَّجْربة وافتراض الفُروض لاستنتاج أحكام عامة .

(٢) المنهج الاستنباطي: هو الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج، وذلك عن طريق تحليل الآيات التي تتعلق بالموضوع، ثُمَّ استخراج النكات والأفكار من خلالها.

خامسًا: عزوتُ جميع الآيات القرآنية الكريمة إلى أرقامها في سورها وذلك في صلب الصفحة، وليس في الحاشية السفلية منعاً لكثرة الهوامش .

سادسًا: تخريج الأحاديث والآثار التي ورد ذكرها في البحث من مصادرها الأصلية من كتب السُنة المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ في الحكم عليه بعزوه إليهما أو إلى أحدهما .

وإن لم يكن في الصحيحين بحثتُ عنه في كتب السنن والمسانيد والصحاح مع الحكم على أسانيدها ومتونها نقلاً عن المحدثين .

سابعًا: العناية بقواعد اللغة العربية، والإملاء، وعلامات الترقيم، وضبط ما يشكل فهمه أو يصعب نطقه في ثنايا البحث .

ثامنًا: شرح الألفاظ الغريبة – إن وجدت– في ثنايا البحث في الحاشية السفلية على حسب ما يحتاج إليه المقام .

تاسعًا: رتبت المصادر والمراجع على حسب حروف المعجم، واكتفيت بذكر بيانات المصادر والمراجع كاملة في الفهارس آخر البحث؛ وذلك لعدم إثقال الحاشية .

عاشرًا: الخاتمة, وذكرت أهم النتائج التي توصل إليها البحث وأهم التوصيات .

حادي عشر: الفهارس العلمية .

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علمية.

أولًا: المقدمة: فقد اشتملت على أسباب اختياري للموضوع، وأهداف البحث، مشكلة البحث وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وإجراءات الدراسة، وخطة البحث .

ثانيًا: التمهيد: يشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث .

ثالثًا: المبحث الأول: أسباب صلاح البال في ضوء القرآن الكريم، ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله – عزو جل–.

المطلب الثاني: عمل الصالحات، والكف عن السيئات .

المطلب الثالث: الإيمان بما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الرابع: الجهاد في سبيل الله – عزو جل–، والنصر على الأعداء .
المطلب الخامس: حسن اليقين بالله – عز وجل–، والتوكل عليه .
المطلب السادس: كثرة الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .
المطلب السابع: القناعة بالرزق الحلال، وسلامة القلب .
رابعًا: المبحث الثاني: أثر صلاح البال على الفرد والمجتمع، ويشتمل على خمسة مطالب:
المطلب الأول: أثره على تحقيق الأمن النفسي في الدنيا والآخرة .
المطلب الثاني: أثره في الرضا بالقضاء والقدر .
المطلب الثالث: أثره في الصبر على البلاء، وعدم اليأس من روح الله – عز وجل– .
المطلب الرابع: أثره في تحقيق استقامة المجتمع .
المطلب الخامس: أثره في استقرار الحياة الزوجية .
خامسًا: الخاتمة: وتشتمل على ذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث وأهم التوصيات .
سادسًا: الفهارس العلمية.

هذا، والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفي والنبي المجتبى وعلى آله وصحبه أجمعين، و ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] .

كما أسأله– سبحانه – العون والمدد ، وأنْ يكون بحثي هذا مفيدًا نافعًا في بابه, وأن يجعل هذا العمل صَالحًا، ولوجهه الكريم خالصًا، وأن يعينني على إخراجه على الوجه الذي يرضيه عني وينفعني به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد:

ويشتمل على التعريف بمفردات العنوان

يجدر بي قبل الشروع في صلب الموضوع أن أعرج سريعاً على التعريف بمفردات العنوان، وفيما يلي بيان ذلك على النحو التالي:

أولًا: مفهوم "صلاح البال":

***المعنى اللغوي لكلمة "صلاح":**

لفظ: "صلاح": اسم، مصدر الفعل "صلَحَ"، "صلُحَ"، وتدور مادة (صلَحَ): الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ، يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا(١).

و(أصلح) فِي عمله أَو أمره أَتَى بِمَا هُوَ صَالح نَافِع وَالشَّيْء أَزَال فَسَاده وَبَينهمَا أَو ذَات بَينهمَا أَو مَا بَينهمَا أَزَال مَا بَينهمَا من عَدَاوَة وشقاق(٢).

***المعنى الاصطلاحي لكلمة "صلاح":**

"الصلاح": ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال .

وقد قوبل في القرآن الكريم بما يلي:

أولًا: تارة بالفساد قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] .

ثانيًا: وتارة بالسّيّئة قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] .

والصُلْحُ يختصّ بإزالة النِّفار بين الناس، يقال منه: اصْطَلَحُوا وتَصَالَحُوا قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وإصَلاح اللهِ – عز وجل– العبد يكون بالآتي:

(١) تارة بخلقه إياه صَالِحًا قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] .

(٢) وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده قال تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، (٣ / ٣٠٣) .

(٢) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ص ٢١٤) .

(٣) وتارة يكون بالحكم له بالصَّلَاحِ[١] قال تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

*المعنى اللغوي لكلمة "البال":

البال كالمصدر: مثل الشأن لا يعرف منه فعل، ولا تكاد العرب تجمعه إلا في ضرورة شعر، فإذا جمعوه قالوا بالات، ويطلق في اللغة على عدة معان، منها:

- الاهتمام يقال: بالى بالشَّيْء: إِذا اهْتَمّ بِهِ.

- البالُ: بالُ النَّفس، وَهُوَ الاكتراث، وَمِنْه اشْتُق: يَا لَيت، ولَم يَخْطُر ببالي ذَلِك الْأَمر، أَي لم يَكْرِثْني.

- البالُ: رخاءُ العَيْش، يقال: إِنَّه رخيّ البال وناعمُ البال .

- البال: الأَمَل؛ يُقَال: فلانٌ كاسِف البال، وكُسوف باله: أَن يَضيق عَلَيْهِ أملُه.

- الحال والشأن والقلب، أي العقل وما يخطر للمرء من التفكير وهو أكثر إطلاقه ولعله حقيقة فيه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١- ٥٢].

وأمر ذو بَال: أي شرف يهتم به، كأن الأمر لشرفه وعِظَمه قد ملك قلب صاحبه لاشتغاله به[٢] .

***المعنى الاصطلاحي لكلمة "البال":**

الخلاصة: أن حَقِيقَة لَفْظِ "الْبَالِ" المرادة هنا: أَنَّهَا بِمَعْنَى الْفِكْرِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ نَظَرُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْقَلْبُ، فَإِذَا صَلُحَ ذَلِكَ، فَقَدْ صَلُحَتْ حَالُهُ، فَكَأَنَّ اللَّفْظَ مُشِيرٌ إِلَى صَلَاحِ عَقِيدَتِهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَالِ تَابِعٌ[٣] .

ثانياً: مفهوم "صلاح البال" كمركب إضافي:

صلاح جميع أمور المسلم دنياه وآخرته، "فإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، وصلاح تفكيره وتدبره : "أقام أنظارهم وعقولهم ؛ فلا يفكرون إلا صالحاً ولا يتدبرون إلا ناجحاً[١].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، (١ / ٤٨٩، ٤٩٠) .

(٢) تهذيب اللغة، (١٥ / ٢٨١، ٢٨٢)، والقاموس المحيط، (١ / ٩٦٩)، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، (ص ٢٤٨) .

(٣) البحر المحيط في التفسير، (٩ / ٤٥٩) .

ثالثاً: مفهوم "صلاح البال" في القرآن الكريم:

ورد في "سورة محمد" في موضعين لا ثالث لهما[٢]:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٢] .

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٤: ٥] .

وقد اختلفت أنظار المفسرين في بيان المراد ب "صلاح البال" الوارد هنا في الآيتين على أقوال:

الأول: أصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه، وهذا قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد وغيرهم[٣].

الثاني: قال ابن عباس رضي الله عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني: أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لم يعصوا، ويعود إلى إصلاح حالهم في الدنيا من إعطاء المال[٤].

الثالث: بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد[٥].

الرابع: الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله، فكأن اللفظة مشيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع[٦].

الخامس: يبدل السيئات حسنات[١] كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٦ / ٧٥، ٧٦) .
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٤١٠).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (٢٢ / ١٥١، ١٥٢).
(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ،(ت: ٤٦٨هـ)، (٤ / ١١٨).
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، (٤ / ٣١٥).
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، (٥ / ١٠٩).

<u>السادس:</u> قَالَ أبو بكر النَّقَّاشُ: إِنَّ الْمَعْنَى أَصْلَحَ نِيَّاتِهِمْ[٢] .

بعد عرض هذه الأقوال تبين أنها متقاربة وليست متعارضة، ويحتمل أن يكون جميعها مراداً من الآيتين؛ فأهل الإيمان الذين أصلح الله – عز وجل– حالهم قد وفقهم للطاعة والعبادة بعدما أخلصوا نياتهم له سبحانه، ثم رزقهم الله الرزق الوفير؛ لأن المعاصي قد تمحق بركة الرزق، ثم لهم في الآخرة الجنان، والنظر إلى الرحمن، ومجاورة خير الأنام صلى الله عليه وسلم .

<u>رابعاً</u>: "صلاح البال" في السنة المطهرة:

جاءت لفظ "صلاح البال" في السنة النبوية بعد الدعوة بالهداية لمن عطس فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ"[٣].

ولعل الحكمة من ذلك: "العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة، شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي حصلت للبدن كزلزلة الأرض لها[٤].

كما ورد أيضاً "صلاح البال" في السنة المشرفة في صورة أدعية كثيرة حيث كان صلى الله عليه وسلم يدعو بشيء من هذا القبيل فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الفخر الدين الرازي، (٢٨ / ٣٥).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥ / ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بَابُ إِذَا عَطَسَ كَيْفَ يُشَمَّتُ، (٨ / ٤٩ رقم ٦٢٢٤)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٤) سبل السلام، الصنعاني، (٢ / ٦١٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، (٤ / ٢٠٨٧ رقم ٢٧٢٠) .

وهو حديث جامع وشامل لمتطلبات الدنيا والآخرة، فصلاح الدين والمعاش والآخرة، هو صلاح حال وشأن العبد كله قال الطيبي – رحمه الله: (إصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه وأنه يكون حلالاً ومعيناً على طاعة الله، وإصلاح المعاد اللطف والتوفيق على عبادة الله وطاعته، وطلب الراحة بالموت)[١]. أ.ه.

خامساً: مفهوم "السعادة" لغة:

السَعْدُ: اليُمْنُ، تقول: سَعَدَ يومنا، بالفتح يَسْعَدُ سُعوداً، والسُعودَةُ: خلافُ النُحوسَةِ، واسْتَسْعَدَ الرجل برؤية فلانٍ، أي عدَّه سَعْداً، وهي خلاف الشَقاوَةِ، تقول منه: سَعِدَ الرجل بالكسر، فهو سعيد، مثل سلم فهو سليم، وسَعُد بالضم فهو مسعود، قال تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ [هود: ١٠٨]، وأسعده الله فهو مَسْعودٌ، ويقال مُسْعَدٌ، كأنَّهم استَغنوا عنه بِمَسْعودٍ[٢].

مفهوم "السعادة" اصطلاحاً:

أما "السعادة" اصطلاحاً": فهي معاونة الْأُمُور الإلهية للْإِنْسَان على نيل الْخَيْر[٣]، أو هي تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل وتحليتها بها[٤] .

إن وظيفة السعادة ودلالالتها عند المفسرين تتلخص في أنها تتجه نحو التمييز الدقيق بين السعادة الدنيوية والسعادة الخروية: السعادة الدنيوية : وهي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير والنعم وسعة الرزق، مع كونه مؤمناً بالله متبعاً للرسل عليهم السلام، وهذه السعادة الدنيوية هي المفضية إلى السعادة الحقيقية الأخروية والتي تعني استحقاق الخلود في الجنة علي أمر قد فرغ منه بما يتفق مع حديث النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»[٥].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي القاري، (٥ / ١٧٢١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٢ / ٤٨٧)، ومختار الصحاح، (ص ١٤٨).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (١ / ٥٠٦) .

(٤) التعريفات، الجرجاني، (ص ١٨٩) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ١٠]، (٦ / ١٧١ رقم ٤٩٤٩) .

وعند بعض الباحثين نجد تعريفات معاصرة لمفهوم السعادة في القرآن الكريم تتلخص في أنها: شعور نفسي يصحبه رضا يجده المرء عند توفيقه بين مصالحه الدنيوية والأخروية وفق ضوابط شريعة الإسلام(١).

(١) السعادة في القرآن الكريم والسنة النبوية، زينب حيدر عادل، (ص ١٥)، جامعة القادسية – كلية التربية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، ١٤٤٠ ه = ٢٠١٩ م .

المبحث الأول:

أسباب صلاح البال في القرآن الكريم والسنة المطهرة

المطلب الأول: الإيمان بالله – عزو جل-

إن العقيدة الصحيحة تملأ نفس المؤمن طمأنينة وسكينة حتى إذا اطمئن قلبه، وسكنت روحه، وهدأت نفسه، شعر براحة البال، فلا يتسرب إليه شك أو ريبة، ولا يعرف الحيرة والقلق والاضطراب إلى قلبه سبيلاً، وقد نص القرآن الكريم على ذلك صراحة فقال تعالى: في سورة محمد ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢] .

وفى قوله تعالى أيضا: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾: إشارة إلى ما يثمره الإيمان بدين الإسلام؛ إذ يجمع قلوب المؤمنين به، ويقيم مشاعرهم على أمر واحد، فلا يكون منهم التفات إلى هذا الدين أو ذاك؛ إذ أن الإيمان بالإسلام إيمان بجميع رسالات السماء، وتصديق بكل رسل الله سواء أكان هذا الإيمان بالإسلام من أهل الكتاب، أو ممن لا كتاب لهم .

وبهذا الإيمان يستريح بال المؤمن، ويطمئن قلبه، ولا تنزع به نازعة من عداوة أو بغضة أو مجافاة، لأى دين من الديانات السماوية؛ إذ كانت كلها مجملة فى الإسلام، مطوية تحت جناحه؛ ولعل هذا معنى من معانى كلمة «الإسلام» التي كانت عنواناً لهذا الدين، الذي يجد من يدين به، السلام بين مشاعره، كما يجد السلام مع الناس! وذلك صلاح البال على تمامه وكماله[1] .

أما عن سبب نزول الْاية الأولى: وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (١٣ / ٣٠٧، ٣٠٨).

أقول: قد اختلفت أنظار المفسرين فيمن نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢] على أقوال:

الأول: القَوْل الْمَشْهُور فِي الْآيَة: أَن المُرَاد بهم الْأَنْصَار[١].

الثاني: قال مُقَاتِلٌ: ناس من قريش .

الثالث: قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب.

الرابع: وقيل: هو عام، وعلى تقدير خصوص السبب في الْقَبِيلَتَيْنِ، فاللفظ عام يتناول كل كافر، وكل مؤمن[٢].

<u>الترجيح:</u>

بعد عرض هذه الأقوال تبين أن الراجح هو القول الرابع؛ لأن "اسم الموصول" "الذين" من صيغ العموم، وعلى فرض أن الآية نزلت في قوم مخصوصين فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن عطية: (ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت ألفاظها)[٣] . أ.هـ.

وقال الشوكاني: (ظاهر هذا العموم، فيدخل تحته كل مؤمن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ولا يمنع من ذلك خصوص سببها، فقد قيل: إنها نزلت في الأنصار، وقيل: في ناس من قريش، وقيل: في مؤمني أهل الكتاب، ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٤] . أ.هـ.

من خلال ما سبق تبين لنا أن الإيمان بالله – عز وجل– أعظم أسباب "صلاح البال"؛ بحيث إنه لا يمكن للإنسان أن يعيش حياة الإنسانية المكرمة، حياة السعادة والرقي والأمن إلا في ظل الإيمان بالله، ويوم أن يتجرد من الإيمان يعيش حياة البهيمية والعذاب والشقاء قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، فضلاً عما ينتظره في

---

(١) تفسير القرآن، أبو المظفر، السمعاني، (٥ / ١٦٧).
(٢) البحر المحيط في التفسير، (٩ / ٤٥٨) .
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥ / ١٠٩) .
(٤) فتح القدير، (٥ / ٣٦) .

الآخرة من العذاب العظيم، والنكال الجسيم قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٧].

يقول الطاهر بن عاشور: (وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحاً، ولا يتدبرون إلا ناجحاً)(١) . أ.ه.

وقد ضرب الله – عز وجل– في كتابه العزيز مثلاً يبرز حقيقة العلاقة بين الإيمان بالله – تعالى– وحصول آثاره من طمأنية النفس، وراحة القلب، وصلاح البال، وحسن المآل والمنقلب فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

والمراد من الآية الكريمة تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا، كما قال تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩: ٩١]، ويبقى هو متحيراً ضائعاً لا يدرى أيهم يعبد؟

وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه؟ وممن يلتمس رفقه؟ فهمه شعاع، وقلبه أوزاع، وحال من لم يثبت إلا إلهاً واحداً، فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله، مؤمل للثواب في آجله(٢).

إن الإيمان الذي يدور حول معرفة الله الخالق – جلا وعلا– ومعرفة أسمائه وصفاته العلا يرسخ في القلب أنواعاً من العبادات تتحقق به سعادته وطمأنينه،

---

(١) التحرير والتنوير ، (٢٦ / ٧٥، ٧٦) .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٤ / ١٢٦).

فمن أيقن أن الله – عز وجل– هو العزيز العليم، اللطيف الخبير، الغفور الرحيم، الحي القيوم ... إلخ، من أيقن بذلك، وعاش في الدنيا بمقتضاه لا شك أن يطمئن قلبه، وتهدأ روحه، وتستقر حياته، ثقة بالله – تعالى– ، وتوكلاً عليه، وركوناً إليه؛ إذ يوقن أن الله أرحم به من نفسه، ومن أمه التي ولدته فعَنْ عُمَرَ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[١].

هذا، وقد أشارت التجارب قديماً وحديثاً أن من استمسك بشريعة الإسلام ذاق طعم الإيمان والسلام في نفسه وماله وعرضه ودينه، واستشعر الاستقرار، وراحة البالب في جميع شئونه المالية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية ... إلخ[٢] .

والمتتبع والمتصفح في سير من اعتنق الإسلام حديثاً يجد أنهم قد أفصحوا عن الإيمان بالله – عز وجل– قد أورثهم صلاح البال، وطمأنينة القلب وسكينته، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]، وشهادة هؤلاء في ذلك أكثر من أن تحصى أو تعد:

يقول ركس إنجرم[٣]: (إنني اعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء، وراحة البال، والسلوى في هذه الحياة، وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي، فشعرت بنعم الإيمان بالقضاء الإلهي، وعدم اللامبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم)[٤] . أ.هـــ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، (٨ / ٨ رقم٥٩٩٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، (٤ / ٢١٠٩رقم ٢٧٥٤) .

(٢) فقه الإسلام ""شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام""، عبد القادر شيبة الحمد، (٤ / ٢٢٨)، ط: مطابع الرشيد– المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ ه = ١٩٨٢ م .

(٣) هو ركس إنجرم: اسكتلندي، شارك في الحرب العالمية الأولى، وزار العديد من بلاد الشرق، ودرس لغاتها وأديانها، وعمل هوليود مصوراً سينمائياً، واعتنق الإسلام؛ لأنه وجد فيه ضالته المنشودة .

(٤) رجال ونساء أسلموا، عبد الرحمن محمود، (١ / ٣) .

والمسلم الذي تغلغل الإيمان في قلبه لا يقلق لأسباب كثيرة مما يورث لديه صلاح البال، ومن هذه الأسباب:

أولاً: عدم وجود أسئلة تحيره أو تقلق فكره أو تشغل عقله: فهو يوقن أن الله واحد لا شريك، وأنه مدبر هذا الكون، وصانعه على أحسن حال قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وأن له طريقاً مستقيماً توصله إلى منازله الأولى، وهذه الأسئلة التي حيرت الفلاسفة والمفكرين أجاب عنها ربه – عز وجل– في محكم التنزيل، فأراحه وطمأنه من مصدر موثوق صادق يجيب له عن جميع استفساراته .

ثانياً: أنه مطمئن النفس؛ لأنه يعلم أن الرزق محدود، والأجل مقدر قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال أيضاً: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] .

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ يَمُوتُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فِي الْحَلَالِ، وَتَرْكِ الْحَرَامِ»(١).

ومن مستلزمات الإيمان بالله – عز وجل– التي تجلب "صلاح البال": (حسن الصلة بالله – عز وجل– والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وخشيته وتقواه في السر والعلانية) قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [يونس: ٦٢: ٦٤] .

إن تقوى الله – عز وجل– جماع كل خير فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ تَرْكِ اسْتِبْطَاءِ رِزْقِهِ مَعَ إِجْمَالِ الطَّلَبِ لَهُ بِتَرْكِ الْحَرَامِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْحَلَالِ، (٨ / ٣٣ رقم ٣٢٤١)، وقال محققه: " إسناده صحيح على شرط مسلم" .

اللَّهِ فَإِنَّهُ جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ»[(١)]، وسبب في انفراج الهم، وتحصيل الرزق الوفير قال ربنا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢: ٣]، وفتح أبواب البركات السماوية والأرضية، الروحية والجسدية قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال أيضاً: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ ﴾ [المائدة: ٦٦]، وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي الدَّهْمَاءِ، قَالَا: كَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ، قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ الْبَدَوِيُّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»[(٢)].

إن المؤمن أطيب الخلق عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً، يدخل جنة الدنيا قبل أن يدخل جنة الآخرة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، (٢ / ١٥٦ رقم ٩٤٩)، وأبو يعلى في مسنده، (٢ / ٢٨٣ رقم ١٠٠٠)، وقال الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٤ / ٢١٥ رقم ٧١١١)، "ورجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم، وهو مدلس" .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقائق، (١٠ / ٣٩١ رقم ١١٨١٠)، والإمام أحمد في المسند، (٣٤ / ٣٤٢ رقم ٢٠٧٣٩)، واللفظ له، قال محققه: "إسناده صحيح"، وأبو قتادة: هو تميم بن نُذَير العَدَوي، وأبو الدَّهماء: هو قِرفة ابن بُهيس العدوي .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، بَابُ التَّوَاضُعِ، (٨ / ١٠٥ رقم٦٥٠٢) .

إن الإيمان بالله يزكي النفس البشرية، ويطهرها من أدران الشرك ، تلك الأدواء التي تمرض الروح، وتوهن النفس، وتجعلها عرضة لكل منزلق خطير، وشر مستطير وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور: (وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما يبتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح، ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفاً من لا شيء، وطمعاً في غير شيء، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه)[١] . أ.هـــ.

المطلب الثاني: عمل الصالحات، والكف عن السيئات

الناظر في كتاب الله يجد أنه قد قرن بين الإيمان به – عز وجل–و بالعمل الصالح، فلا يذكر أحدهما إلا والآخر معه كما قال على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال أيضاً: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] .

وقد أخبر _سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم أن من أسباب صلاح البال "عمل الصالحات" فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [محمد: ٢]. ، وقال أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴾ [الرعد: ٢٩] .

والصالحات هنا: جمع صالحة، وكانت العرب تطلق لفظة "الصالحة" على الفعلة الطيبة كإطلاق اسم الجنس؛ لتناسب الوصفية، كما شاع ذلك الإطلاق في "الحسنة"

---

(١) التحرير والتنوير ، (٣ / ١٩٤) .

مراداً بها الفعلة الطيبة[١]، "فالعمل الصالح يعم كل ما ينفع الإنسان به نفسه، ويسعد به الآخرين قولاً كان أو فعلاً؛ لأن نجاة العبد في الدنيا من البلايا والمحن والمصائب، وفي الآخرة من عذاب جهنم إنما هو ب "العمل الصالح" قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١].

يقول أبو حيان الأندلسي: (النجاة من أعظم الفلاح، وسبب منجاتهم العمل الصالح؛ ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما: المفازة بالأعمال الحسنة، ويجوز: بسبب فلاحهم، لأنّ العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة، ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه: مفازة، لأنه سببها)[٢]. أ.هـ .

ولا بد في العمل حتى يكون صالحاً مقبولا عند الله– تعالى– من شرطين:

الأول: الإخلاص لله – عز وجل– بأن يكون الباعث ابتغاء وجهَ الله لا الرياء وطلب حمد المخلوقين، أو إرادة شيء من عرض الدنيا فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[٣].

الثاني: المتابعة والموافقة لهدي الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

لقد حذرنا الله – عز وجل– من ارتكاب السيئات، وفعل الموبقات؛ لما لها من آثار سيئة على العاصي ومن حوله، فهي توهن البدن، وتمحق بركة العمر والرزق مما يترتب عليه شقاء العبد وتعاسته في الحياة، وذهاب صلاح البال عنه، وإدخال الخوف والرعب في حياته قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)، (٣ / ١٩٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير، (٩ / ٢١٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، (٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥) .

وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال أيضاً: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٞ مِّنْهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: ٨٤]، وعَنِ الْحَسَنِ البصري، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَيَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَتَكُونُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ، وَوَهَنًا فِي بَدَنِهِ»(١).

فما أعظم بركة الطاعة وما أعظم شؤم المعصية؛ لهذا فإنَّ الواجبَ على كلِّ مسلمٍ أن يحذرَ أشدَّ الحذَر من الذنوب والمعاصي، وأن يتوبَ إلى الله – عزَّ وجلَّ –من كلِّ ذنبٍ وخطيئة، وأن ينيبَ إلى ربِّه ومولاه؛ لينالَ السعادةَ والطمأنينةَ؛ وليتحقق له الفلاحُ في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

يقول ابن القيم مُعدِّداً عقوبات السيئات: (ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفًا مرعوبًا، فإنّ الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب. فمن أطاع الله انقلبت المخاوفُ في حقّه أمانًا، ومن عصاه انقلبت مآمِنُه مخاوفَ، فلا تجد العاصي إلا وقلبُه كأنه بين جناحَي طائرٍ، إن حرّكت الريحُ الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقعَ قدَمٍ خاف أن يكون نذيرًا بالعطب، يحسب كل صيحةٍ عليه، وكل مكروه قاصدًا إليه، فمن خاف الله آمنه من كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء)(٢). أ.هـــ .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "التوبة"، (١ / ١٤٢ رقم ١٩٧)، ط: مكتبة القرآن، مصر، والبيهقي في "شعب الإيمان"، (٩ / ٣٨٣ رقم ٦٨٢٦)، ط: الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى، ١٤٢٣ هـــ – ٢٠٠٣ م، و"إسناده صحيح" .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص ٧٥)، الناشر: دار المعرفة – المغرب– الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م .

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العلماء قد اختلفوا في "مسألة: هل العمل شرط كمال أم شرط صحة للإيمان؟" وهي مسألة من الأهمية بمكان خصوصًا في عصرنا المعاصر.

أقوال: اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

الأول: المختار عند أهل السنة من محققي الأشاعرة والماتريدية: "أنه شرط كمال"؛ لإجراء أحكام المؤمنين عليهم من التوارث والتناكح، والصلاة خلفه وعليه، والدفن في مقابر المسلمين، ما لم يطلع عليه على كفره بعلامة كسجود لصنم وإلا جرت عليه الأحكام بالكفر، وهذا القول هو ما تتفق معه النصوص، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن لكنه فوَّت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة .

الثاني: ذهبت المعتزلة وغيرهم من فرق الخوارج كالمرجئة : إلى أن العمل شرط صحة للإيمان؛ لأنهم يقولون بأنه العمل والنطق والاعتقاد، فمن ترك العمل فليس بمؤمن؛ لفقد جزء من الإيمان وهو العمل، ولا كافر؛ لوجود التصديق، فهو عندهم منزلة بين المنزلتين.

الرأي الراجح:

بعد عرض هذين القولين تبين لنا أن القول الراجح "هو القول الأول"؛ لأن الإيمان في اللغة "التصديق"، فيستعمل شرعاً في تصديق خاص، ولا دليل على ما قاله المعتزلة وغيرهم من اشتراط الثلاثة، وقد دلت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي، وعلى أن الإيمان والعمل الصالح متغايران، وعلى أن الإيمان والمعاصي قد يجتمعان كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم، وكقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢]، فإن أصل العطف المغايرة، وكقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] بناء على تفسير "الظلم" بالمعصية هنا، وقيل:

"الشرك"، وعليه فمفهوم الآية من باب: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فيكون المراد ب "الإيمان": مطلق التصديق[١] .

يقول الفخر الرازي رداً على المعتزلة : (قالت المعتزلة: تكفير السيئات مرتّب على الإيمان، والعمل الصالح، فمن آمن ولم يعمل صالحاً يبقى في العذاب خالداً. فنقل: لو كان كما ذكرتم لكان الإضلال مرتباً على الكفر والصد، فمن يكفر لا ينبغي أن تضل أعماله، أو نقول قد ذكرنا: إن الله رتَّب أمرين، فمن آمن كفر سيئاته، ومن عمل صالحاً أصلح باله. أو نقول: أي مؤمنٍ يتصور غير آت بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا طعام، وعلى هذا فقوله: «وعَمِلُوا» من عطف المسببِ على السبب كقول القائل: أَكَلْتُ كَثِيراً وشَبِعْتُ)[٢]. أ.هـــ .

وقد لخص ذلك الإمام ابن حجر فقال: (وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه، إنما هو بالنظر إلى ما عند الله، فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، والمرجئة: قالوا هو اعتقاد ونطق فقط، والكرامية قالوا: هو نطق فقط، والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله وهذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله .

أما بالنظر إلى ما عندنا: فالإيمان هو الإقرار فقط، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا، ولم يحكم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم، فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق، فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره، ومن نفي عنه الإيمان، فبالنظر إلى كماله، ومن أطلق عليه

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للباجوري، (١ / ٩٤)، ط: دار السلام .

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (٢٨ / ٣٤) .

الكفر فبالنظر إلى أنه فعل فعل الكافر، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته، وأثبتت المعتزلة الواسطة فقالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر)[١]. أ.هـ .

مما سبق يتضح لنا أن عمل الصالحات، والكف عن السيئات عامل رئيس لحصول صلاح الحال، فالذي يشكو الهموم والقلق، وضيق الصدر والخوف؛ فدونه الترياق المجرب لطيب الحياة وهو "العمل الصالح" قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] .

بل إن العمل الصالح سبب عظيم في الوقاية من الأمراض القلبية، والعقد النفسية التي قد تطرأ العبد نتيجة ضغوط الحياة وتقلباتها، ونتنها ومرارتها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج:١٩: ٢١]، ثم استثنى الله فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج:٢٢: ٢٥].

المطلب الثالث: الإيمان بما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الإيمان بالله كما هو معلوم هو التصديق القلبي وقد ورد لفظ الإيمان في كتاب الله خمسمائة مرة وهذا التصديق ينسحب بلا شك على التصديق بجميع الرسالات السماوية السابقة وهذا التصديق بها يستوجب الإيمان بالرسالة المحمدية الخاتمة التي جاء بها النبى محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن دعوته مجددة إلى الإيمان بالله، ومصححة له، إذ كان هو الدين كله كما أخبر سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأيضًا عندما قال:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وكما قال أيضًا: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا

(١) البحر المحيط في التفسير، (١ / ٤٣، ٤٤) .

﴿ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[الشورى: ١٣] .

وعلى هذا، فإن من بلغته تلك الرسالة من أهل الكتاب أو الفلاسفة والحكماء أو غيرهم من الخلق ثم لم يؤمن بها، فهو ليس مؤمناً حقاً فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)؛ ولذا نجد أن بعض الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب قد صدقوه وآمنوا به كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري وغيرهم(٢) كما قال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣] .

وكما هو معلوم أن الإيمان بالرسول _صلى الله عليه وسلم_ يستلزم الإيمان بما جاء به من معجزات، وأعظمها على الإطلاق "القرآن الكريم"، وقد نص الله – عز وجل– على ذلك صراحة فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢] .

فالآية الكريمة فيها تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به مع اندارجه فيما قبلَهُ تنويهاً بشأنِه، تعظيماً له، وتنبيهاً على سُموِّ مكانِه منْ بينِ سائرِ ما يجبُ الإيمانُ بهِ وأنه الأصلُ في الكُلِّ، وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه، ولذلك أكده بقوله:﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ اعتراضاً على طريقة حصر الحقِّيةِ فيهِ(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، (١ / ١٣٤ رقم ١٥٣) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ٣٢٠)، وزاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٥٠٢) .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٥ / ١١٩)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٨ / ٩١) .

فمن أنكر هذا الحق المنزل من عند الله، فليعلم أن ما عنده من إيمان ليس من الحق؛ إذ لو كان حقا لا لتقى مع هذا الحق، فالحق لا يصادم الحق، ولا تختلف طريقه معه[١] .

قال ابن جرير: ("وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ" يقول: وصدقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد "وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ" يقول: يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه، "وأصلح بالهم" يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه)[٢] . أ.هـ.

وقال الفخر الرازي: (وهذا حث على اتباع مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم صدوا أنفسهم عن سبيل الله، وهو، وَهُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما أنزل عليه، وهؤلاء حثوا أنفسهم على اتباع سبيله، لا جرم حصل لهؤلاء ضد ما خصل لأولئك، فأضل الله حسنات أولئك، وستر على سيئات هؤلاء)[٣] . أ.هـ.

إن كلام الله – تعالى– فيه روح ونور به تتحق السعادة والراحة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بالنفس البشرية، وبيان صفاتها، وكيفية تزكيتها، وأودع الله – عز وجل– فيه كل ما يناسب الأذواق البشرية كي تهنأ معيشتهم، وينصلح حالهم، ويريح بالهم؛ ولذا وجدنا قديماً وحديثاً أن كل من اطلع واستمع لهذا الكتاب العزيز قاده طواعية للإيمان به، والتصديق بما اشتمل عليه من حقائق إيمانية وأخلاقية وتشريعية ونواحي إعجازية متعددة، وهذا ما صرح به غير واحد ممن آمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي ذكر بعض شهادات هؤلاء المحدثين:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، (١٣ / ٣٠٧) .
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٢/ ١٥١) .
(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (٢٨ / ٣٥) .

يقول بوتر[١]: (عندما اكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هى الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة)[٢]. أ.هـ.

ويقول فيشر[٣]: (إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، واعتمادًا على أثره البليغ في قلوب قرّائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع.

إن القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلامًا عن الفرائض والشعائر، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه كما تتجلى في أوامره)[٤]. أ.هـ.

أضف إلى ذلك ما سطرته كتب السير والتاريخ من مواقف المشركين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم، ومدى تأثرهم به حتى إنه حاولوا جاهدين بشتى الطرق منع الناس عن الاستماع إليه خشية أن يؤمنوا به؛ وقد أخبر القرآن الكريم عن صنيعهم هذا فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] .

---

(١) ديبورا بوترD. Potter: ولدت عام ١٩٥٤م، بمدينة ترافيرز، في ولاية متشيغان الأمريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى. ينظر: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام (ردود على حملات تشويه صورته في أوروبا وأمريكا) للحسيني الحسيني معدي، (ص ٢٤).

(٢) قالوا عن الإسلام، د/ عماد الدين خليل، (ص ٥٥).

(٣) د/ سدني فيشر Sydney Fisher: أستاذ التاريخ في جامعة أوهايو الأمريكية، وصاحب الدراسات المتعددة في شؤون البلاد الشرقية التي يدين الأكثرون من أبنائها بالإسلام، مؤلف كتاب" الشرق الأوسط في العصر الإسلامي"، والذي يناقش فيه العوامل الفعالة التي يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد وأولها الإسلام. ينظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٧٨) .

(٤) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام ، (ص ٤٥) .

من خلال ما سبق يظهر لنا أن القرآن الكريم يؤثر تأثيراً عظيماً في قلب الإنسان، فهو يزيد من قدرته على التحمل والصبر، وتحمل متاعب الحياة، ويبعث في نفسه الأمن والطمأنينة، وينشر راحة البال، ويغمر العبد بالسعادة والاستقرار كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]، بل إن كلام الله – تعالى– يحي القلوب مهما كانت قساوتها، ويشربها الراحة، ويورثها الخشية والمهابة له سبحانه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال أيضاً: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

المطلب الرابع: الجهاد في سبيل الله – عزو جل-

إن المؤمن يوقن أن هذه الحياة ليست هي النهاية، وأن الحياة الباقية إنما هي حياة الآخرة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وأن ما فاته في دار الفناء من الملذات سيعوض عنه في دار البقاء قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨]، وهذا كله يسكب الطمأنينة في قلبه، والسعادة في أعماقه، ويجعله يترفع عن الصغائر، ويهتم بعظائم الأمور .

وعندما يربى المسلم على التضحية والبذل حتى إنه ليبذل روحه في سبيل الله – تعالى– طمعًا فيما هو أعظم من النفس والأرض وهي الجنة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

وصدق سيف الله المسلول سيدنا خالد بن الوليد _رضي الله عنه_ حين قال لملك الروم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَازِبَةِ أَهْلِ فَارِسَ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِالْحَمْدِ الَّذِي فَصَلَ حُرُمَكُمْ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَكُمْ، وَوَهَّنَ بَأْسَكُمْ، وَسَلَبَ مُلْكَكُمْ، فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ، وَأَدُّوا إِلَيَّ الْجِزْيَةَ، وَابْعَثُوا إِلَيَّ بِالرَّهْنِ، وَإِلَّا فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَأَلْقَيَنَّكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَحُبِّكُمُ الْحَيَاةَ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى»(١).

وقد أخبر القرآن الكريم أن "الجهاد في سبيل الله، وبذل النفس" من أعظم أسباب راحة البال، وصلاح المآل فقال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤: ٦] .

وهذه التربية الإسلامية العالية هي التي جعلت المرأة من بني عبد الدار عندما أخبرت باستشهاد زوجها وأخيها وأبيها تقول: «ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يقولون: أمامك حتى دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطب»(٢).

إن النفس البشرية دائماً تركن إلى الشهوات، وتتاثقل إلى الأرض كلما دعاها داعي الجهاد، فالنفس سرعان ما تستجيب لشهواتها، وتؤثر السلامة بعيداً عما يتعب النفس ويرهقها، ويبعدها عن الوطن والأهل والمال والضيعات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في "سننه"، كتاب الجهاد، بَابُ رَسَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعْوَتِهِ، (٢ / ٢٢٨ رقم ٢٤٨٢)، وأبو يعلى في "مسنده"، (١٣ / ١٤٦ رقم ٧١٩٠)، واللفظ له، وابن أبي شيبة في "مصنفه"، (٦ / ٥٤٨ رقم ٣٣٧٢٩)، (إسناده ضعيف) .

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، (٧ / ٢٨٠ رقم ٧٤٩٩)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، (٦ / ١١٥ رقم ١٠٠٨٧)، "رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات" .

ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨] .

ويأتي الجهاد في سبيل الله؛ ليهذب النفس ويعودها المجاهدة، وعدم الاستسلام، ويعزز عندها مقاومة الرغبات والشهوات، والركون إلى الملذات، ويجردها من هذا كله، عبداً خالصاً لله وحده، مقبلاً غير مدبر، غير راغب في فضلٍ من أحدٍ إلا الله، ولا راهب أحداً سواه[١].

لكن يجب أن نعي جيداً أن ذكر "الجهاد في سبيل الله" هنا كسببٍ من أسباب "صلاح الحال" إنما هو منوط بتوافر دواعيه كالعدوان على الدين أو النفس أو العرض أو الأرض أو المال وغيرها من وجوه الاعتداء مثل قبر الفتنة، وتأمين سير الدعوة، أما إذا انعدمت أسباب الجهاد أو القتال، يرتفع حكمه؛ لأن "الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً"؛ فقتال المسالمين حرام قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩] إلا إذا بدأوا هم بالعدوان، فيباح لنا قتالهم دفعاً لشرهم وإجرامهم، ولا يجوز لنا أن نبدأهم بالقتال[٢] قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] مع الالتزام بآداب القتال التي وضعها القرآن الكريم أثناء الحرب وبعدها .

من هنا يظهر لنا أن الجهاد في سبيل الله – عز وجل- يكون سبباً في صلاح الحال في الآخرة بما أعده للشهداء من النعيم المقيم، والجزاء العظيم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

---

(١) الجهاد في سبيل الله، مقاصد وآثار، وصفي عاشور أبو زيد، (ص ٥) .

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، (١ / ٢٣١، ٢٣٥) .

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] .

أما كون الجهاد في الدنيا سبباً لصلاح الحال – إن توافرت دواعيه وأسبابه- فيكون بحماية الأنفس أن تقتل، والأعراض أن تنتهك، والأموال أن تسلب، والأرض أن تغتصب، ففيه الدفاع عن هذا كرامة وصون وحماية، وصلاح للحال والمآل آجلاً وعاجلاً، والله أعلم .

قال الإمام البغوي عند تفسير قوله: ﴿فَإِذَا وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۞ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٤: ٦]: (سيهديهم أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ويصلح بالهم، يُرضي خُصَمَاءَهُمْ، ويقبل أعمالهم)[1]. أ.هـ.

وكذا قال الآلوسي: (سيوصلهم إلى ثواب تلك الأعمال من النعيم المقيم، والفضل العظيم، أو سيثبت جل شأنه في الدنيا هدايتهم، والمراد الوعد بأن يحفظهم سبحانه ويصونهم عما يورث الضلال، وحبط الأعمال، والمراد به إصلاح شأنهم في الدين والدنيا)[2]. أ.هـ.

المطلب الخامس: حسن اليقين بالله – عز وجل-، والتوكل عليه

اليقين في الله هو أرقى درجات الإيمان به، وأخص صفات أهل التقوى والإحسان قال تعالى؛ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣]، وإذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً وهداية وتوفيقا، وانتفى عنه كل ريب وشك وزيغ ، وعوفي من أمراضه القاتلة، وامتلأ شكراً لله، وذكراً ومحبة وخوفاً، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] .

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤ / ٢١١) .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٣ / ٢٠٠) .

وهو خُلُق الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، رفع اللهُ به درجاتهم، وكفَّر به خطيئاتهم، وأوجب لهم القرب منه والرضوان، والصفح من لدنه والغفران فنجد موسى- عليه السلام- يقول لأصحابه حينما أدركهم فرعون وجنوده، فوجدوا البحر من أمامهم، والعدو من ورائهم: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] لكن اليقين معمورٌ به قلبُه، ومليءٌ به فؤادُه: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٢ - ٦٦]، وإذا بتلك الأمواج المتلاطمة العظيمة تنقلب في طرفة عين إلى أرض يابسة، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل، وأرسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً، فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم، ولا يرى بعضهم بعضاً فخافوا، وقال كل سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبكي فصارت شبكاً كالطاقات يرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين(١) .

هذا اليقين أيضاً هو الذي دخل به يونس بن متى - عليه السلام- بطنَ الحوت في ظلماتٍ ثلاث لا يراه إلا الله، ولا يطَّلع على خبيئة قلبه من الآلام والحسرات سوى خالقه، فناجاه بهذا الدعاء وكله يقين بأن الله سيرحمه، وسيلطف به: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فأخرجه الله من هذه الظلمات إلى رحمة فاطر الأرض والسماوات حيث فرج كربه، ونفسَّ همه وغمه، ورد عليه ما افتقده ، واستنقذه من بطن الحوت بعد مدة، ونبت يونس - عليه السلام-، وصح وحسن جسمه(٢):﴿ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (١ / ٥٨) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤ / ٤٨٦، ٤٨٧) .

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٥: ١٤٨].

وهذا نبي الله إبراهيم -عليه السلام-، أوذي في الله فصبر، فجمع له قومه ذلك الوادي العظيم من النار حتى إذا تأجج ذلك الوادي بناره، واصطلى بجحيمه وسعيره، أُلقي فيه حتى إذا صار مقبلاً على ذلك البلاء العظيم، مسلماً لله فيما ابتلاه، فلما قدم: "جاء جبريل إلى إبراهيم وهو يوثق أو يقمَّط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا"(١)، وثق بالله فنجاه: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] ثم خرج- عليه السلام- طريداً عن قومه، مهاناً من عشيرته، وحيداً، مؤذىً في الله مضطهداً، فلما ولَّى وجهه قال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:٩٩ : ١٠٠]، فعوضه الله أطهر من الدار التي خرج منها الأرض المقدسة، ورزقه الولد الصالح البار﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١] بل جعل ذريته ذرية النبوة والصلاح، وجعل فيها ميراث الأنبياء، وكل ذلك باليقين بالله، وحسن التوكل عليه .

وتأمل حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر عندما كانا في الغار ليلة الهجرة فعن أَنَس أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم – وقلبه مليء باليقين بالله أنه ينصره ولا يخذله وهو معهم: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(٢) .

لقد حقق النبي صلي الله عليه وسلم كمال توكل علي ربه، واعتمد عليه، وفوض إليه أمره؛ لذا أصلح الله حاله، وحقق نجاح أمره، فجعل المشركين يتردَّدون حول

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨ / ٤٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، (٦ / ٦٦ رقم ٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (٤ / ١٨٥٤ رقم ٢٣٨١)، واللفظ له .

الغار ولا يفطنون، وقد أخذ الله بأبصارهم عنه[1]:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

كلما ازداد يقين العبد بربه قوي توكله عليه، وعظم ثقته به قال تعالى:﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقد قص القرآن الكريم علينا نبأ الذين كانوا مع طالوت من المؤمنين الصادقين الذين اتصلت قلوبهم بالله، والذين أذعنوا أنه لا نصر إلا منه ولا اعتماد إلا عليه: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]، فكان النتيجة المحتومة أن أصلح الله حالهم، فكان النصر المؤزر الذي حكاه الله في قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] .

وهذا اليقين هو الذي ثبَّت الصحابة يوم الحديبية حيث أنزل الله السكينة في قلوبهم، وأصلح حالهم، وحقق لهم "فتح مكة"، قَالَ عمر:«فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ:«يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، (٢ / ٢٧٢) .

الفَتْحِ فَقَرَأَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»(١) .

يقول الطاهر بن عاشور: (فكان في ذكر عناية الله بإصلاح نفوسهم، وإذهاب خواطر الشيطان عنهم، وإلهامهم إلى الحق في ثبات عزمهم، وقرارة إيمانهم تكوين لأسباب نصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفتح الموعود به؛ ليندفعوا حين يَسْتَنْفِرَهُم إلى العدو بقلوب ثابتة، ألا ترى أن المؤمنين تبلبلت نفوسهم من صلح الحديبية إذا انصرفوا عقبه عن دخول مكة بعد أَن جاؤوا للعمرة بعدد عديد حسبوه لا يغلب، وأنهم إن أرادهم العدو بسوء أو صدهم عن قصدهم قابلوه فانتصروا عليه، وأنهم يدخلون مكة قسراً، وقد تكلموا في تسمية ما حل بهم يؤمئذ فتحاً كما علمت مما تقدم، فلما بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما فيه من الخير اطمأنت نفوسهم بعد الاضطراب، ورسخ يقينهم بعد خواطر الشك، فلولا ذلك الاطمئان والرسوخ لبقوا كاسفي البال، شديدي البِلْبَال)(٢). أ.هـ.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن "حسن اليقين بالله – عز وجل–، والتوكل عليه" هو الطريق الموصل إلى صلاح البال، به يقف العبد المؤمن في أشد الشدائد، وأعظم المكائد، فيكون الله – عز وجل – به رحيمًا، وبحاله عليمًا، فيفرِّج عنه الخطوب، ويزيل عنه الهموم والكروب، فإذا أرد العبد أن يصلح الله – عز وجل– أمره؛ فليحقق صدق التوكل عليه، وحسن اليقين به – عز وجل– فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٣)، ومن وحد همه بأن يكون هماً واحداً، وهو "مرضاة الله" كان النصر حليفه، والتوفيق سبيله قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجزية والموادعة، بَابُ إثم من عاهد ثم غدر، (٤ / ١٠٣ رقم ٣١٨٢)، واللفظ له ، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ، (٣ / ١٤١١ رقم ١٧٨٥) .

(٢) التحرير والتنوير، (٢٦ / ١٤٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، (١ / ٣٣٢ رقم ٢٠٥)، وقال محققه: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة، فمن رجال مسلم" .

«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»(١).

أما فقد اليقين فسمة الهالكين، وعنوان الفاشلين، وطريق الحائرين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٣] .

المطلب السادس: كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد أرسل الله نبيًّنا صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمينَ، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، أعلى اللهُ مقامَه، وشرَح صدرَه، ووضَع وِزرَه، ورفَع ذِكرَه، فَضلُهُ صلى الله عليه وسلم على البشرية عظيمٌ؛ فبه هدوا إلى الصراط المستقيم، وأنقَذهم به من عذاب الجحيم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن عباس– رضي الله عنهما–: "ما خلَق اللهُ وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرمَ عليه من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعتُ اللهَ أقسَم بحياةِ أحدٍ غيرِه"(٢) قال الله تعالى ذكره: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] .

ولفضل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلو منزلته اختصَّه الله – عز وجل – بالصلاة عليه دونَ سائر أنبيائه ورسله فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أداءٌ لبعض حقه، وتذكيرٌ بواجب محبتِه، ومتابعةِ شريعتِه، وامتثال لأمر ربنا؛ فليست صلاتنا على النبي –صلى الله عليه وسلم– شفاعةً له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكنّ الله تعالى

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، بَابُ الْهَمِّ بِالدُّنْيَا، (٢ / ١٣٧٥ رقم ٤١٠٦)، وقال محققه: "إسناده حسن" .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، (٧ / ٢٢٦٩).

أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله لَمَّا علم عجزنا عن مكافأة نبيّنا –صلى الله عليه وسلم– إلى الصلاة عليه[١] .

يقول الإمام الْحَلِيمِيُّ: (المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله بامتثال أمره وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه بن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه)[٢] أ.هـ.

وقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: (فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم)[٣] أ.هـ.

هذا ومن العجيب أن صلاح البال هذا لم يذكر إلا في "سورة محمد"، وفي هذا دليل دامغ أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكثرة الصلاة عليه، تريح البال وتصلحه، وإلا لما كان ذكره هنا في السورة فائدة، وهذا منتف البتة؛ لأن الصلاة عليه "مشتملة على ذكر الله، وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه، وإيثاره بالدعاء على نفسه ما أعظمه من خلال جليلة الأخطار وأعمال كريمة الآثار"[٤].

هذا، وقد تكاثرت الأحاديث وفاضت في بيان أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تريح البال، وتنفرج بها الكرب، وتقضى بها الحوائج، وتنال بها الرغائب، فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ:" ... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ، (١١ / ١٦٨) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١١ / ١٦٨) .

(٣) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي، (٢ / ٢٦٩) .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (١/ ٧٤٦) .

لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

يقول المباركفوري: (وفي هاتين الخصلتين أي كفاية الهم ومغفرة الذنب جماع خير الدنيا والآخرة، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها؛ لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا بذنوبه)(٢). أ.هـ .

مما سبق تبين لنا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحد أعظم أسباب صلاح البال؛ لأن فائدة الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ترجع إلى الذي يصلي عليه؛ لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم(٣) فأي فوائد أعظم من هذه الفوائد، ومتى يظفر المتعبد بمثلها فضلاً عن أنفس منها، وأنى يوازي دعاؤه لنفسه واحدة من تلك الفضائل التي ليس لها مماثل ببركته(٤).

المطلب السابع: القناعة بالرزق الحلال، وسلامة القلب

إن من أعظم أبواب السعادة في الحياة هى الرضا بالله، والقناعة بما قسمه، ومعرفة فضل الله فيما أعطى قال تعالى:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]، فمن قنع استراح ومن طمع تعب وأتعب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا» ثُمَّ عد

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، (٤ / ٦٣٦ رقم ٢٤٥٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٢ / ٤٥٧ رقم ٣٥٧٨)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي .

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، (٣ / ٢٧٩).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١١ / ١٦٨) .

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي، (٥ / ١٨).

منها: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ...»(١).

ولا خلاف أن من فقد نعمة الرضا والقناعة؛ أصابه دأء الحرص والجشع، فهو يطمع ولا يقنع، ويجمع ولا يدفع، يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب الهيم فعن زَيْد بْن ثَابِتٍ قال، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(٢)، فالقناعة تورث السلامة من الآفات كالحسد والحقد والغل الذي يذهب عن العبد صلاح البال، وطيب العيش؛ لانشغاله بغيره، وتطلعه إلى ما في يد الناس قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨: ٨٩]، وقد مدح الله الأنصار فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

يقول الإمام الماوردي: (ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء، يتوجَّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصّ بالمخالط والصاحب، لكانت النزاهة عنه كرماً، والسلامة منه مغنماً، فكيف وهو بالنّفس مضرّ، وعلى الهم مصر حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدو، ولا إضرار بمحسود، وقد قال مُعَاوِيَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: "ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود الْحَاسِدَ"، وقال بعض الحكماء: "يكفيك من

(١) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"، (١٣ / ٤٥٨ رقم ٨٠٩٥)، وقال محققه: " حديث جيد، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي طارق – وهو السعدي البصري والحسن –وهو البصري– لم يسمع من أبي هريرة شيئاً" .

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، بَابُ الْهَمِّ بِالدُّنْيَا، (٢ / ١٣٧٥ رقم ٤١٠٥)، واللفظ له، وابن حبان في "صحيحه"، باب ذِكْرُ وَصْفِ الْغِنَى الَّذِي وَصَفْنَاهُ قَبْلُ، (٢ / ٤٥٤ رقم ٦٨٠)، وقال محققه: "إسناده صحيح رجاله ثقات" .

الحاسد أنه يَغْتَمُّ في وقت سرورك"، وقال الْأَصْمَعِيُّ: "قلت لِأَعْرَابِيٍّ: ما أطول عُمُرَك، قال: تركت الحسد فبَقِيتُ)[١]. أ.هـــ.

وقد ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم صورة مشرقة لسلامة الصدر، وكيف أنها تحقق السعادة، والراحة النفسية مما تستوجب لصاحبها الجنة حتى إن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ احتال حيلة ليعرف ما الذي بلغ به هذا الرجل، فلما مكث عنده ما مكث قال له: "يا عبد الله لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[٢].

ولذا وجدتُ الإمام ابن جرير شيخ المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، قد رجح أن المراد بها: "القناعة" فقال – رحمه الله– : (وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة ب "القناعة"، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها؛ وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية؛ لأن الله تعالى ذكره أوعد قوماً قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص ٢٦٩، ٢٧٠) .

(٢) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى"، (٩/ ٣١٨ رقم ١٠٦٣٣)، وأحمد في "مسنده"، (٢٠/ ١٢٤ رقم ١٢٦٩٧)، واللفظ له، وقال محققه: " إسناده صحيح على شرط الشيخين." .

عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤]، فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفد، وما عند الله باق، فالذي أوعد أهل المعاصي بإذاقتهم هذه السيئة بحكمته، أراد أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فعَلَ تعالى ذكره.

وأما القول الذي رُوي عن "ابن عباس": أنه "الرزق الحلال"، فهو مُحتَمَل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قلّ فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله لا أنه يرزقه الكثير من الحلال، وذلك أن أكثر العاملين لله بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة)[١].أ.هـ.

مما سبق تبين لنا أن القناعة بالرزق الحلال، وسلامة القلب هما من أفضل الوسائل المعينة على صلاح البال، وحصوب الفلاح والتوفيق كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ»[٢]؛ فالمؤمن إذا أراد النجاة وراحة البال؛ فليقنع بما أعطاه الله، ولينظر إلى من هو أقل منه في أمور الدنيا؛ ليستريح عقله، ويطمئن قلبه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٧ / ٢٩١، ٢٩٢) .

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه"، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّضَا بِالقَضَاءِ، (٤ / ٤٥٥ رقم ٢١٥١)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ"، واللفظ له، وأحمد في "المسند"، (٣ / ٥٤ رقم ١٤٤٤)، وقال محققه: " إسناده ضعيف" .

مِنْهُ»[١]، وإلا فسخطه وطمعه لن ينجي من ورائه سوى الشقاء والتعاسة في الحياة، ونزع البركة من ماله، وضياع عمره فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: قال النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»[٢]، فالحديث يدل على أن القناعة، وطلب الكفاية والإجمال فى الطلب مقرون بالبركة، وأن من طلب المال بالشره والحرص، فلم يأخذه من حقه لم يبارك له فيه، وعوقب بأن حرم بركة ما جمع[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الرقاق، بَابٌ لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، (٨/ ١٠٢رقم ٦٤٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الزكاة، بَابُ الاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ، (٢ / ١٢٣ رقم ١٤٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ، (٢ / ٧١٧ رقم ١٠٣٥) .

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال، (٣ / ٥٠٥)،.

المبحث الثاني

أثر صلاح البال على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: أثره على تحقيق الأمن النفسي في الدنيا والآخرة

وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، زادت على سبع وعشرين مرة, وذلك بالمعنى الذي نحن بصدده، وهو "الأمن النفسي": الذي يعني السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل، أي ما يشمل أمن الإنسان الفرد، وأمن المجتمع قال تعالى: يقول الله تعالى:﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال أيضاً: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢]؛ ذلك أن الإنسان مهما أوتي من نعمة، ومن سلامة نفس وبدن ووفرة رزق، لا يحس بالأمن الكامل، أو الأمن بمعناه المطلق الذي ينافي كل خوف مهما كانت أسبابه، فالأمن المطلق، لا يوجد إلا في دار النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين.

أما في الدنيا؛ فالأمن المطلق غير واقع، إذ يشوبه الخوف من انقطاع الأمن، والخوف من زوال الحياة نفسها، ولا يحس بالأمن المطلق من عذاب الله إلا الغافلون الخاسرون، يقول الله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] .

أما المؤمنون حقاً، فحالهم بين الرجاء في رحمة الله عز وجل، والخوف منه سبحانه، الذي يعتبر ضرورياً للمسلم حتى يأمن من ظلمه لنفسه، ومن ظلمه لغيره، ومن ظلم غيره له، فالخوف من الله مفتاح الأمن للمسلم في دنياه والفلاح في أخراه[1].

وقد اقتصت حكمة الله – عز وجل– أن يكون الجزاء من جنس العمل؛ ولذلك كان الأمن ثمرة من ثمرات الإيمان "حصول الأمن والسلام الداخلي والخارجي"

---

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، (ص ٢١) .

كما قال سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١: ٨٢]، ولا يخفى ما يعنيه حصول الأمن من حصول منافعه من السكينة والطمأنينة وغير ذلك قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ لأن الله – سبحانه– يجازي على القليل من العمل بالكثير من الثواب والأجر، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر المحسنين، وجزاؤه – عز وجل– للعباد لا يقتصر على الآخرة فحسب بل يظهر في الدنيا أيضاً قال تعالى: ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢] وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»(١).

أخبر الله – عز وجل– في كتابه الحكيم أن من آمن بالله، وأقبل عليه بالعمل الصالح كانت له في الدنيا الحياة الطيبة، والسعادة الحقيقية، وهي الغاية التي يسعى إليها جميع البشر بمختلف معتقداتهم وأجناسهم قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

يقول الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (هذا وعد من الله تعالى لمن عَمِلَ صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يُحْيِيَهُ الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

وقد روي عن ابْنِ عَبَّاسٍ وجماعة: أنهم فسروها بالرزق الحلال، وعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه فسرها بالقناعة، وكذا قال ابن عباس وعكرمة،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا، (٤ / ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٨٩) .

ووهب بْنُ مُنَبِّهٍ، وقال على بن أبي طلحة عَنِ ابْنِ عباس: أنها هي السَّعَادَةُ. وقال الحسن ومجاهد وقتادة: لا يَطِيبُ لأحد حياة إلا فِي الجنة. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هي الرزق الحلال، والعبادة في الدنيا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: هي العمل بالطاعة، والانشراح بها، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله)[١]. أ.هـ .

وقد اختلفت أقوال المفسرين في المراد من قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وأين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في الدنيا، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال:

أحدها: أنها القناعة، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه.

الثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً.

الثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

الرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة.

الخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة.

السادس: أنها الرزق الطيِّب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

السابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق.

الثامن: العافية والكفاية.

التاسع: الرضى بالقضاء، ذكرهما الماوردي.

الثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة.

الثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسّان عن شريك[٢].

قلتُ: وهذه الوجوه كلها متقاربة، ولا تعارض بينها، ولا مانع من حمل الآية الكريمة عليها؛ إذ الإيمان بالله – عز وجل– وعمل الصالحات، يحقق للعبد ذلك وزيادة في الدراين، والله أعلم .

يقول ابن عاشور: (والطيب: ما يطيب ويحسن. وضد الطيب: الخبيث والسيء. وهذا وعد بخيرات الدنيا، وأعظمها الرضى بما قسم لهم، وحسن أملهم بالعاقبة،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤ / ٥١٦) .

(٢) زاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٥٨٢) .

والصحة والعافية، وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم، ومن راقب الله نفسه رأى شواهد هذا)[١]. أ.هـ .

إن العمل الصالح سببٌ لتفريج الكربات وقضاء الحاجات، فضلاً عن محبة الله – تعالى– وقبول أهل الأرض له كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم: ٩٦] .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «محبة في الناس في الدنيا»، وقال مُجاهد: «يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ إلى خلقه»، وعن قتادة قال: «ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده»[٢] .

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله – عز وجل– لِمُتَابَعَتِهَا الشريعة المحمدية – يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أَمْرٌ لا بد منه، ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير وجه)[٣]. أ.هـ .

وبقدر الابتعاد عن الله عز وجل، وضعف الصلة به سبحانه، يكون الشقاء والضنك، وسوء البال ومن ثم الحال قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣: ١٢٦] .

وهذا الأمن والصلاح يمتد معهم إلى ما بعد الموت كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، بل ويشمل ذريتهم من بعدهم أيضاً، فأهل الإيمان والصلاح يخشون على ذويهم ومحبيهم بعد

---

(١) التحرير والتنوير، (١٤ / ٢٧٣) .
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨ / ٢٦١، ٢٦٢) .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٥ / ٢٣٦) .

مفارقتهم الحياة الدنيا، فاللــه – عز وجل- يطمأنهم أنه سيخلفهم فيهم بخير مما كانوا هم يقومون قال سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩]، وقال أيضاً عن الغُلامين اليتيمين: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، فلقد حُفظ كنزُ اليتيمين بسببِ صلاحِ أبيهما وإنْ لم يُذكرا بصلاح، وَقِيلَ: كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَبِ الصَّالِحِ سَبْعَةُ آبَاءٍ، ففيه ما يدلُ على أنَّ اللهَ يحفظ الصالح في نفسهِ وفي ولدهِ وإن بعدوا عنه[١]، وسيلحقهم بهم ببركة قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١] .

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته؛ للتساوي بينه وبين ذاك)[٢]. أ.هــ .

*العلاقة بين الإيمان والهداية: كما جاءت في قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥] الهداية: هي الإرشاد والدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية، وهي بهذا المعنى "هداية عامة"، وتسند الهداية إلى الله، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى القرآن، وقد يراد منها الإيصال إلى ما فيه خير، والتوفيق للطاعة والعبادة، وهي بهذا المعنى لا تضاف إلى الله- تعالى-، فتكون "هداية خاصة بالمؤمنين دون غيرهم[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١١ / ٣٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧ / ٤٠٢) .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، (١ / ٢٣) .

قال أبو حيان ما ملخصه: (وقد تأتى التبيين كما في قوله- تعالى-:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧]، أى بينا لهم طريق الخير، أو بمعنى الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٤٩]، قال المفسرون معناه: ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها، أو بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] أى: داع)[١]. أ.هـ.

والعلاقة بين "الإيمان وصلاح البال أو الهداية"

علاقة مترابطة ومتآخية؛ إذ الهداية وصلاح مرتبطان بشكل وثيق؛ فالهداية إلى الطريق المستقيم تشمل الاطمئنان بأن الله مع العبد في كل خطوة من خطوات حياته كما قال تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وهو ما ينعكس على حياته بشكل إيجابي، فيجعله مطمئناً ومتصالحاً مع نفسه ومع الآخرين، وبهذا المعنى يمكن فهم قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥] بأن الهداية الإلهية تؤدي إلى صلاح بال المؤمنين، وتمنحهم الاستقرار النفسي والروحي الذي يجلب لهم الطمأنينة والسكينة في نفوسهم .

ومن ثم فصلاح البال هو نتيجة طبيعية للهداية، ويتضمن راحة البال، واستقرار الحياة عامة حيث يتجلى ذلك في خلو القلب من القلق والتوتر والاضطراب، والشعور بالأمان الداخلي الذي يملأ القلب سعادة ونوراً .

من خلال ما سبق تبين لنا أن صلاح البال له عظيم الأثر على الفرد والمجتمع بحيث تسود فيه مشاعر الأخوّة والإيمان، وتكون فيه النفوس نقيّة لا تحمل أي مشاعر سلبية تجاه الآخرين، وتُصان جميع حقوق الفرد فيه، ويُحافظ على كرامتهم وحرياتهم، فلا يتعدى أحدٌ على حرمات الآخر، وبالتالي تتحقق الوحدة والتلاحم بين أبناء الأمة الواحدة، والله أعلم .

كما أن صلاح الحال يدخل العبد المؤمن في حِمى الله – عز وجل–، ومن كان تحت عناية الله – تعالى– وحفظه ما كان ليضيع، وهذا الشعور يورث الإنسان السكينة والأنس، ويشعره بالأمن والطمأنينة، وراحة البال، وطيب العيش من جميع العوادي الحسية والمعنوية قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١ / ٤٦) .

يقول الإمام ابن كثير في هذه الآية: (يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه، وأنابوا إليه، شر الأشرار، وكيد الفجار، ويحفظهم، وَيَكْلَؤُهُمْ وينصرهم كَمَا قَالَ تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزُّمَرِ: ٣٦]، وقَالَ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطَّلَاقِ: ٣])[١]. أ.هـ .

المطلب الثاني: أثره في الرضا بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان بالله تعالى فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ"[٢].

إذا تحقق في الإنسان بالقضاء والقدر هان عليه كل ما يجده من ضيق، وسهل عليه كل ما يجد من عسر، واطمئنت نفسه، وارتاح قلبه على الدوام، وبعد عنه مرض الأسى والحزن حيث يستحضر قوته بالله عز وجل؛ لأن القوة لله جميعاً، ويستحضر أن الأمر بيده سبحانه، وأنه عز وجل خلق كل شيء بقدر، فهذا يغير حاله وسلوكه تغييراً جذرياً؛ فالله سبحانه قد كتب المقادير، وقدر الأمور في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[٣] .

إن الإيمان باليوم الآخر يزهد العبد في الدنيا، ويهون عليه مصائبها، والإيمان بالقدر يبعث في النغس الطمأنينة، ويرحها من كد التطلع إلى ما لم يكن، ويخفف

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٥ / ٣٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الإيمان، بَابُ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، (١ / ٤٠ رقم ١٠) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، (٤ / ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣) .

عنها عناء حصول ما يكره؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[١] كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ [الحديد: ٢٢: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن: ١١] .

يقول ابن كثير: (أي: ومن أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسام لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدًى في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه)[٢]. أ.ه .

ومن هذا المنطلق يرضى المؤمن بقضاء الله وقدره، فلا يجزع إن مسه الشر، ولا يمسك إن أغدق عليه الخير، ولا يندم على ما فات؛ إذ يوقن أن الله يعلم ما يصلحه وما ينفعه كما قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال أيضاً: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤] .

وعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[٣].

ومن تمام الإيمان بالقضاء والقدر أن يأخذ العبد بالأسباب، ويسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويسعى

(١) عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:٢٢٦]، يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» . سنن أبي داود، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، (٤ / ٢٢٥ رقم ٤٧٠٠)، وإسناده صحيح .

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٨ / ١٦١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، (٤ / ٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩) .

لطلب الرزق كما قال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥]، فإن جاءت الامور وفق ما يريد العبد حمد الله أن وفقه وهداه إلى ذلك ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وإن أتت على خلاف ما أراد تصبر بقدر الله تعالى.

إن الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يثمر السعادة، وهي مطلب ملح، وهدف منشود، وغاية مبتغاة؛ فكل من في الأرض يبتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها .

إنه لا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيراً في احتمال الشر، ثم إن وقع لم يطر له قلبه شعاعًا، بل يتحمل ذلك بثبات وصبر: إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط، فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعة واعتدال.

فلا غرو أن الرضا بالقدر يترك التحسر على ما فات، ويورث في الإنسان الشجاعة والإقدام، وطرد اليأس، وقوة الاحتمال؛ ولهذا نجد المؤمنون بالقضاء والقدر راحة، وطمأنينة لا يجدها غيرهم ممن لا يؤمنون بقضاء الله وقدره؛ وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب، وطمأنينة النفس ما لا يخطر على بال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال فلهم في ذلك الشأن القدم المعلى والنصيب الأوفى؛ ولهذا يشيع الانتحار في البلاد الكافرة التي لا يؤمن أهلها بالله وقدره؛ فتراهم لا يحتملون أدنى مصيبة تنزل بهم.

أما المؤمنون بالقدر فلا تكاد توجد عندهم أدنى نسبة للانتحار؛ بسبب أنهم يؤمنون بأن ما أصابهم إنما هو بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بأن الله لا يقدر لعبده المؤمن

إلا الخير، حتى وإن كان القضاء مرا فإن عاقبته حميدة للمؤمن إن رضي بقدر الله[١] .

من هنا يظهر لك أن علم الإنسان بأن المقادير أمور مرسومة ولا رادَّ لها وأنَّها تجري وفقا للحكمة الإلهية يجلب الطمأنينة، وثبات القلب، وراحة البال[٢].

أما إذا لم يرض بقضاء الله وقدره، وتسخط حاله فلا بد أن يسلب راحة البال، حيث يلوم نفسه وغيره، وهذا اللوم الذي يوجه إلى النفس لا يفيد شيئًا، فإن فيه نوع اعتراض على قدر الله حيث ينظر المرء إلى الفعل وكأنه جهد شخصي معزول، لا علاقة لمشيئة الله له، وكذلك فيه تألٍ عليه سبحانه؛ لذلك يحفز النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن على أن ينأى بنفسه عن مثل ذلك فيقول كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٣].

ولنا أن نتوقع أشياء كثيرة من أعمال الشيطان التي تفتحها كلمة: "لو"، ونتصور احتمالات الشر على كثرتها عندما يسلم الإنسان قياده إلى الشيطان.

فالشيطان لا يريد للمؤمن راحة البال، ونقاء السريرة، ولا يريد له أن يوجه جهده إلى عمل إيجابي منتج له ولفكرته، ويحول بينه وبين تجاوز الخطأ، ويسره أن يدور الإنسان المؤمن في حلقة متصلة من الأخطاء المتتابعة ولا ولا يهتدي لمخرج من ذلك.

وهكذا يحدد الرسول الكريم للمؤمن الغاية والهدف، ويسلحه بالوسيلة، ويرسم له مجال العمل: قلب متصل بالله، ومتجه إليه، وجهد إيجابي يتطلع إلى الأحسن دائماً، وأعمال تستمد فاعليتها عن تسديد الله لها، ونفس راضية تقابل المصاعب بالصبر والثبات، وسد لكل ذرائع الشيطان التي يسهل تسلله منها.

---

(١) تعريف غير المسلمين بالإسلام، محمد بن إبراهيم الحمد، (ص ٤٩) .

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (٦ / ٢٢٨٩) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر – باب في الأمر بالقوة، وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير الله، (٤ / ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤) .

فلله ما أَسَدَّ هذا الكلام، وما أسمى هذا التوجيه، ولسنا ندري -والله- بأي جانبيه نحن أشد إعجاباً: بوجازته وجمال سبكه؟ أم بما احتواه من كريم المعنى وجليل المحتوى؟!(١).

مما سبق تبين لنا أن صلاح البال يمنح المؤمن حسن النية، والصدق والعزيمة، التي تتحقق بها الآمال والطموحات، والتي بها توجه إلى الوجهة الصحيحة، وهي معالي الأمور، وتنأى بها عن سفاسفها؛ ولذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستخارة عند الحيرة، والتردد في الأمور؛ إذ تجلب راحة البال، وتجمع على المؤمن أمره وحاجته فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاستِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: "إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ"(٢)، والله أعلم .

المطلب الثالث: أثره في الصبر على البلاء، وعدم اليأس من روح الله -عز وجل-

الصَّبْرُ: الإمساك في ضيق، يقال: صَبَرْتُ الدابة: حبستها بلا علف، والصَّبْرُ: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه(٣)، والصبر على ثلاثة أنواع: صَبْرٌ على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله .

فالأولان: الصبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: الصبر على ما لا كسب للعبد فيه(٤).

---

(١) مجلة البيان، (من مشكاة النبوة)، تصدر عن المنتدى الإسلامي، الرياض، عدد ٧، (ص ١٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ، (٨ / ٨١ رقم ٦٣٨٢) .

(٣) المفردات في غريب القرآن، (١ / ٤٧٤) .

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٣ / ٣٧٥) .

والصبر يحفظ للإنسان توازنه عند وقوع النائبة والبلاء، ومن ثم يبقى محافظاً على ما في داخله من توجُّه وعبودية لله – عز وجل- فلا يشعر بالضعف، ولا تنهار قواه أمام المصاب مهما كان كبيراً؛ لذا من صلح باله رزق الثبات عند المواقف المزعجة التي تعترضه في حياته، فلا تجده يستعجل الرد واتخاذ القرار، ولا يسارع بردات فعل غير مدروس، بل يسر في نفسه، ويكتم في ضميره ردة فعله، ولا يبادر بها، ففي ذلك خير كثير كما حكى الله – تعالى – عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧] .

وهذا هو المسمى ب "الصبر الجميل": أي ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا رجاء معه إلا منه- سبحانه، وإلا فقد قال يعقوب- عليه السلام-[١]: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] .

ونجد في قصة إبراهيم – عليه السلام- حينما بشرته الملائكة بالولد مع تقدمه في السن، وكانت امرأته عجوزًا عقيمًا لا تلد: ﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٤: ٥٦] .

وفي قصة سيدنا زكريا -عليه السلام- أيضاً بعثًا للأمل بعد زوال أسبابه؛ لأنه الله "قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟!"[٢] يقول سبحانه: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩: ٩٠].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٦ / ٣٩٣) .
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٢ / ٥٨١) .

أرأيت كيف أن الصبر على البلاء كان سبباً في صلاح المرأة العاقر من جميع النواحي والوجوه؛ فقوله تعالى: "وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ" فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أُصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو: البذاء، فأُصلحت، قاله عطاء وقال السدي: كانت سليطة فكفَّ عنه لسانها، والثالث: أنه كان خُلُقها سيئاً، قاله محمد بن كعب[١].
لكن الأولى والأرجح أن تحمل الآية على العموم دون تخصيص؛ إذ لم يرد دليل يعتمد عليه في ذلك قال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصُصِ الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض)[٢]. أ.هـ.
ونجد أيضاً أن صبر يعقوب – عليه السلام– على بلاء فراق ولديه يوسف – عليه السلام– وبنيامن كان سبباً في صلاح باله، واجتماعه بهما مرة أخرى، وإذا تأملنا هذه الصدمة العظيمة التي أشبه بالصخرة الضخمة التي تكاد تطبق على أنفاسه فلا يكاد أن يميز بين يرى وما يجري حوله من هول ما أصابه من الكرب الشديد، والغم العظيم لكننا نجد أنفسنا أمام أب صابر محتسب، قد سلَّم أمره لله، فيقول مستعيناً واثقاً بوعده سبحانه: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣] .
يقول الفخر الرازي: (وأعلم أن إقدامه على الصبر لا يكون إلا بمعونة الله تعالى؛ لأنّ الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع، وهي قوية والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر، فكأنّ المحاربة وقعت بين الصنفين فما لم تحصل إعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة)[٣]. أ.هـ.

(١) زاد المسير في علم التفسير، (٣ / ٢١١) .
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨ / ٥٢١) .
(٣) مفاتيح الغيب، (١٨ / ٤٣٢) .

ولذا طلب يعقوب منهم البحث عن يوسف – عليهما السلام– رغم السنين الطويلة التي فرقت بينهم قال تعالى حكاية عنه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

وقد جعل الله قوله على لسان يعقوب – عليه السلام– هذا حِكمة في الحياة، فمهما اشتدت الأزمات وكبُرَت الابتلاءات على العبد المؤمن أن لا يفقد الأمل والرجاء في ذهاب الهم، المعبر عنه بقوله سبحانه: "مِنْ رَوْحِ اللَّهِ"؛ لأن انقطاع الأسباب، وانسداد طرق النجاة تتصور اختناقاً وكظماً للإنسان؛ فالروح من الله هي فسحة الفرج والظفر بالعافية الذي يفرج الهم، وينفس الكرب عند حاجة المؤمن الحقيقية لذلك: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٩٦] .

كما أن يوسف – عليه السلام– قد حذا حذو أبيه يعقوب في الصبر على ما البلايا التي تعرض لها – من إلقائه في الجب، ومراودة امرأة العزيز له، وسجنه، وامتلاكه زمام الأمور –، متبعاً ما أرشده إليه في صغره من اتباع الحق، والسير في طريق الهدى والعفاف إلى أن أصلح الله حاله بأن اجتمع مع أبيه يعقوب – عليه السلام– وإخوته، وأكرمه بالفرج الكبير، والنصر العظيم: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكافأ الله يعقوب أيضاً يقول الحق – سبحانه– مصوراً ذلك بصورة بليغة: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٩: ١٠٠] .

وفي قصة نبي الله أيوب – عليه السلام – نجد أكبر مثل في أن الصبر على المصائب يأخذ بيد العبد إلى أحسن حال؛ حيث ابتلاه الله بذهاب المال والأهل والصحة جميعاً، ولكنه ظل على صلته بربه وثقته به ورضاه بما قسم له، وصبر

صبراً جميلاً[(١)]، ولجأ إلى الله طالباً كشف الضر عنه، وراجياً رحمته، فاستجاب الله لدعائه، كشف الضر عنه وأبدله خيراً مما فقد منه، وأعاد عليه صحته، وأخلفه مالاً أكثر من ماله، وولدت له زوجه أولاداً وبنات بعدد من هلكوا له من قبل[(٢)] قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣: ٨٤].

وقد أرشده ربه – عز وجل- أن يأخذ بالسبب، فأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله، ففعل فأنبع الله عيناً، وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت جميع مَا كان في بَاطِنِهِ من السُّوء وَتَكَامَلَتِ العافية ظاهراً وباطناً[(٣)]، ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ"[(٤)].

مما سبق تبين لنا أن الصبر على البلاء، وعدم اليأس من روح الله – عز وجل- أعظم طريق يوصل إلى صلاح البال، والفوز بالرضوان، وحصول السعادة، وتخطي الأزمات، والخروج من النكبات

وإلا فالجزع والضجر، والاعتراض على أقدار الله، يجلب النقم والنصب ظاهراً وباطناً؛ ولذا عد من الكبائر فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِالله، وَالإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله»[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، (٤ / ٩٤) .

(٢) تاريخ الأنبياء، د/ الطيب النجار، (ص ٢٦٣، ٢٦٤) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٧ / ٦٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥]، (٩ / ١٤٣ رقم ٧٤٩٣) .

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٢ / ٢٥٢ رقم ١٣٠٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (١ / ١٠٤ رقم ٣٩١): "رواه البزار والطبراني، ورجاله موثقون" .

المطلب الرابع: أثره في تحقيق سلامة المجتمع واستقامته

إن صلاح البال يحقق التسامح بين الأفراد، ويخلق تصفية القلوب والنفوس في المجتمعات، كما أن نسيان الماضي، والصفح عن المسيئين يجعل العبد يعيش في سعادة دائمة، وصلاح مستمر؛ ولذا كان هذا من صفات الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام–، قال تعالى عن يوسف عليه السلام وهو يخاطب إخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢] بل إن يوسف – عليه السلام– قد نسب ما وقع له من بلايا ومِحن لفعل الشيطان؛ ستراً على إخوته، وتأدباً معهم فقال الله على لسانه: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ ولم يقل: "مِنَ الْجُبِّ" مع كونه أشد بلاء من السجن؛ استعمالاً للكرم لكيلا يخجل إخوته بعد ما قال لهم: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ [يوسف: ٩٢] ، ولأن نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ السِّجْنِ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجُبِّ صَارَ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالرِّقِّ، وَبَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ صَارَ إِلَى الْمُلْكِ، وَلِأَنَّ وُقُوعَهُ فِي الْبِئْرِ كَانَ لِحَسَدِ إخوته له، وفي السجن كان مُكَافَأَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِزَلَّةٍ كَانَتْ مِنْهُ[١].

لقد أيقن يوسف – عليه السلام– أن صلاح البال، وطيب الحياة له ولأخوته لن يتم إلا بالصفح والعفو عن فعلتهم وإلا فالخصومة والشحناء سيجني الجميع ثمارها شقاء وتعباً، وتنغيصاً لروحتهم وغدوتهم قال عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما: "أوحى الله إلى يوسف: بعفوك على إخوتك رفعت لك ذكرك"[٢]؛ وهذا التسامح هو الذي قاد إخوة يوسف – عليه السلام– أن يعترفوا بخطيئتهم، ويطلبوا الصفح والغفران من أبيهم قال الله حكاية عنهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩٨] .

وهذا العفو والصفح إنما كان من أعظم شيم النبيين والمرسلين فعن ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٢ / ٥١٥، ٥١٦) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ٢٧٧) .

قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[١].

وقد سار على هذا النهج نبينا صلى الله عليه وسلم ففي فتح مكة عفا وأصفح عن أهلها فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، "أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَارَ إِلَى مَكَّةَ يَسْتَفْتِحُهَا، وَفَتَحَ اللهُ عَلَيْه، فقَالَ: فَمَا قُتِلَ يَوْمَئذٍ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، قَالَ: "ثُمَّ دَخَلَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْكَعْبَةَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ السَّيْفَ لَا يُرْفَعُ عَنْهُمْ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ، فَقَالَ:«مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ»، قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ وَابْنُ عَمٍّ، حَلِيمٌ رَحِيمٌ، ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢] قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ"[٢]، فانظر كيف أن الصفح عنهم كان طريقاً في صلاح حال الكثيرين، ودخولهم في الإسلام طواعية لا رهبة وعنوة .

كما أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قد حقق لهم صلاح البال استحقاق الرحمات، وتنزل البركات من رب الأرض والسموات؛ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما وقعت حادثة الإفك، وتكلم المنافقون في شأن بنته السيدة عائشة رضي الله عنها من تكلم، وكان ممن تكلم غلام له اسمه "مسطح بن أثاثة"، فمنع أبو بكر رضي الله عنه النفقة عن مسطح عقاباً له؛ لأن النفس ببشريتها تغضب وتفكر في الانتقام، جاء في الحديث: "وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، (٤ / ١٧٥ رقم ٣٤٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ- بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، (٣ / ١٤١٧رقم ١٧٩٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، (٥ / ٥٧)، (إسناده فيه ضعف كما قال العراقي) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، (٤ / ١٨٢٥ رقم ٢٨٩٤) .

يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا"(١).

إن مثل هذا الفعل يجلب راحة الضمير، وينشر السلام والوئام بين الخلق أجمعين، أما المشاجرات والخصومات فهي سبب قطيعة صلة الأرحام، وذهاب صلاح البال بين الأنام؛ و"لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم والعقوبة، وآلام حالات ذوي القدرة وهي طرف من الجزع"(٢) .

إن صلاح البال بين الخلق لن يتم إلا بالوصال والود، والتماس الأعذار بينهم؛ ولذا أمر الله – عز وجل – في كتابه العزيز في غير آية بالعفو عن المخطئين، والصفح عن المسيئين؛ لما له من آثار عظيمة في تحقيق السعادة وراحة البال للأفراد والجماعات فقال تعالى: ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر:٨٥]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى:٤٠] .

يقول ابن القيم – وهو يعدد مراتب الجود–: (الثَّامِنَةُ: الْجُودُ بِالصَّبْرِ، وَالِاحْتِمَالِ، وَالْإِغْضَاءِ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ، وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ، وَأَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُ، وَأَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَأَشْرَفُ لَهَا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الْكِبَارُ.

فَمَنْ صَعُبَ عَلَيْهِ الْجُودُ بِمَالِهِ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْجُودِ، فَإِنَّهُ يَجْتَنِي ثَمَرَةَ عَوَاقِبِهِ الْحَمِيدَةِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، وَهَذَا جُودُ الْفُتُوَّةِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٥] وَفِي هَذَا الْجُودِ قَالَ تَعَالَى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ– بَابُ {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} [النور: ١٢]، (٦ / ١٠١ رقم ٤٧٥٠)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة– بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ، (٤ / ٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠) .

(٢) فتح القدير شرح الجامع الصغير، المناوي القاهري، (٦ / ١٨٠).

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠])[١]. أ.هـ.

من خلال ما سبق تبين لنا أن صلاح البال يحقق ترابط المجتمع وتماسكه حيث يدفع الجميع على حمل معاني الإخاء والصداقة والتعاون، وأداء الأمانات، وبذل المعروف فيما بينهم، وأداء الحقوق والواجبات، فتتخلص المجتمعات من صور العنف والكراهية للآخرين؛ لأن الأصل في المسلم أن يسلم الناس من أذاه وشره فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[٢]، يمسى المؤمن – الذي صلح حاله– قد ألف حب الخير للغير، وأضحى يرفض الفساد، والظلم والأنانية فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ» ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[٣].

المطلب الخامس: أثره في استقرار الحياة الزوجية

الأصل في العلاقة الزوجية أن تكون قائمة على السكن والمودة والرحمة قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، والعاقل من ينظر إلى الحياة الزوجية من جميع جوانبها لا من جانب واحد، وأن ينظر بعين العقل والمصلحة لا بعين الهوى، وأن يحكم دينه وضميره قبل أن يحكم عاطفته ووجدانه، فربما كرهت نفسه زوجه لتصرف ما، بينما لو تحملها، وتغاضى عنها، ولم يسترسل في كراهيته لها، سيجعل الله فيها خيراً كثيراً مستقبلاً قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ١٩] .

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٢ / ٢٨١) .

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه، باب صفة المؤمن، (٨ / ١٠٤ رقم ٤٩٩٥)، واللفظ له، والإمام أحمد في مسنده، (١١ / ٦٥٨ رقم ٧٠٨٦)، وقال محققه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين" .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، (٢ / ١٤٠٩ رقم ٤٢١٦)، وقال محققه: "إسناده صحيح؛ رجاله ثقات" .

إن هذه الآية الكريمة لتلمس وجدان المسلم الصادق، فتهدئ من فورة غضبه، وتفثأ من حدة كراهيته لزوجته، وبذلك يقي الإسلام عروة الزوجية من الانفصام، ويحفظ الرباط المقدس أن يكون عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة، وحماقة الميل الأهوج الطائر هنا وهناك .

إن عقدة الزوجية في الإسلام لأكبر من النزوات العاطفية الصغيرة، وأجل من ضغط الميل الحيواني المسعور، وإن في المسلم الحق من المروءة والنبل والتجمل والاحتمال وسعة الصدر وسمو الخلق ما يجعله يرتفع في تعامله مع زوجته التي يكره، بعيداً عن نزوات البهيمة، وطمع التاجر، وتفاهة الفارغ.

بل إن المسلم الحق لا يسعه إلا أن يمتثل أمر ربه، فيحسن معاشرة زوجته، ولو كان كارهاً لها؛ ذلك أنه يتدبر قول ربه العليم الخبير بما خفي عليه، وهو كثير، بأن الإنسان قد يكره الشيء ويعافه ويود الابتعاد عنه، وهو محفوف بالخير، مفعم بالبركة، ولذلك فإن المسلم الواعي يعرف كيف يحب، ويعرف كيف يكره، فلا يندفع مع من أحب اندفاع الأهوج الأعمى، ولا يزور عمن أبغض ازورار الجافي المعرض المنكر الجاحد، وإنما يكون في الموقفين معتدلاً مقسطاً منصفاً[(١)].

ويبين رسول الإسلام العظيم أن المرأة المسلمة المؤمنة مهما كرهها زوجها، فإنها لا تخلو من خلق كريم يرضى عنه الرجل، فما ينبغي له أن يتجاهل هذا الجانب الرضي فيها، ويبرز الجانب الذي يكره، فتصفو الحياة، ويستقيم بيت الزوجية فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ»[(٢)].

ولك أن تعلم أن الغضب الذي هو أساس المشكلات الأسرية يذهب صلاح البال– كما حدث مع "أوس بن الصامت" حين ظاهر من زوجه "خولة بنت ثعلبة"– قَالَتْ عَائِشَةُ: "تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ

---

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د/ محمد علي الهاشمي، (ص ٧٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع – بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، (٢ / ١٠٩١ رقم ١٤٦٩) .

بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١]»(١).

أرأيت كيف أن الغضب وعدم التحمل قد أذهب راحة، وصلاح الحال، وجعل "خولة بنت ثعلبة"، تخرج تلتمس الحل لهذه المشكلة العويصة حتى جعل الله لها مخرجاً وفرجاً .

مما سبق تبين لنا أن صلاح البال يؤثر بشكل مباشر على الصحة النفسية، والانطباع العام؛ ليستمر مفعوله الإيجابي على حياتنا الزوجية، ويعطي نتائجه المليئة بالخيرات والبركات؛ لتكون حياتنا كلها أفراحًا وسعادة، كما أنه يعين على تجديد المشاعر، فلا يبقى صاحب صلاح البال دائرًا في فلك مشاعر سلبية معينة، ولهذا تجد أهل صلاح البال من أكثر الأزواج قبولاً للأعذار بصدور رحبة، ولا يجدون غضاضة في الرجوع عن الخطأ إذا ظهر ذلك، وتأمل قول الله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، تجد فيه معنى لطيفاً دقيقاً – ما تعجز الأقلام عن رسمه والألسنة عن وصفه– لما بين الرجل وزوجه من شدة الاتصال والمودة، واستتار كل واحد منهما بصاحبه، فاللباس كما يستر جسد الإنسان من تقلبات الحر والبرد، ومن نظر الناس إليه، فكذا الزوج والزوجة كلاهما ستر للآخر من عواصف الحياة، وأمواج الفتن .

كما أن تعاون الزوجان على الطاعة يعينهما على صلاح البال، فالعبادة عماد السعادة الزوجية وحلاوتها وروحها، ومن جرب هذا وجد طعم هذه الحياة قال تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤] ، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ ولذا علق النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الطلاق– بَابٌ فِي الظِّهَارِ، (٢ / ٢٦٦ رقم ٢٢١٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق– بَابُ فِي الظِّهَارِ، (١ / ٦٦٦ رقم ٢٠٦٣)، واللفظ له، والحاكم في المستدرك، (٢ / ٥٢٣ رقم ٣٧٩١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي .

وسلم حصول الرحمة بين الزوجين – التي هي أساس صلاح البال بل المقصد الرئيس من عقد النكاح- على حث كل منهما الآخر على قيام الليل فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»(١)، فالحديث الشريف فيه بيان حسن المعاشرة، وكمال الملاطفة والموافقة، والتعاون على الخير الذي فيه صلاح الحال والبال(٢) قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٢] .

إن الاستقرار في البيوت يقود إلى نجاة الأولاد من كل ما يُهدِّد كيانهم، وما ينحرف بهم ويبعدهم عن الجادة والصواب؛ لأنهم ينشؤون داخل بيت لا صراع فيه ولا كذب ولا سباب ... الخ، بيت اتضحت فيها الحقوق، وأقيمت فيه الواجبات، وأدى كل فرد فيه ما التزم به، فتتحقق السكينة، وتسود المودة والطمأنينة؛ ولنا الأسوة الحسنة في الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] وعَنِ ابْنِ عَبَّاس، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(٣).

من خلال ما سبق تبين لنا أن عزم النية على الإصلاح والطاعة، وتحمل الأزواج بعضهم لبعض، وسيادة المودة والتفاهم، وتوافر الرضا التام بحال الآخر، وفهم طبيعة كل منهما للآخر، ومعرفة أن الكمال المطلق لله – عز وجل- فقد يكون في كل منهما قصوراً لكن فيه جمالاً من نواح شتى، ينصلح الحال، ويهدأ البال، وتهنأ المعيشة وإلا ستزداد المشاكل، وتسوء العشرة، وتتفاقم الخلافات، وتحصل

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، بَابُ الْحَثِّ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، (٢ / ٧٠ رقم ١٤٥٠)، واللفظ له، وابن ماجه في سننه، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ أَيْقَظَ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ، (١ / ٤٢٤ رقم ١٣٣٦)، وابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ إِيقَاظِ الْمَرْءِ أَهْلَهُ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَلَوْ بِالنَّضْحِ، (٦ / ٣٠٦ رقم ٢٥٦٧)، وقال محققه: "إسناده قوي" .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٣ / ٩٢٨) .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح- بَابُ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، (١ / ٦٣٦ رقم ١٩٧٧)، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنْ ضَرْبِ النِّسَاءِ إِذْ خَيْرُ النَّاسِ خَيْرُهُمْ لِأَهْلِهِ، (٩/ ٤٩١ رقم ٤١٨٦)، وقال محققه: "إسناده حسن".

الكوارث، وربما أفضى ذلك إلى الخلاف والفراق - والعياذ بالله- وهذا كله من سوء التدبير، والإعراض عن الإرشادات النبوية التي جاءت في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[١].

هذا والله أعلى وأعلم

****

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ، (٧ / ٢٦ رقم ٥١٨٦) .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه ذوي الهمم العاليات وسلم تسليماً وبعد:

فأحمد الله الذي سهل إتمام هذا البحث المتواضع على هذه الصورة، وهذا جهد المقل، وأملي أن أكون قد وفقت وأضفت عملاً نافعاً، أجده في صحيفة عملي يوم لقاء الله، وآن في هذه الخاتمة الموجزة أن أدلي بدلو العاجز المقصر بما توصلت إليه من نتائج فأقول مستعينا بالله تعالى:

أهم النتائج التي اشتمل عليها هذا البحث:

أولًا: ورود "صلاح البال"، في القرآن الكريم والسنة المطهرة دلالة واضحة على أهميته، وأثره في حياة الفرد والمجتمع .

ثانيًا: لم يرد صلاح البال في القرآن الكريم إلا مرتين في "سورة محمد" صلى الله عليه وسلم".

ثالثًا: صلاح البال يختص بالمؤمن، وكلما قوي إيمان العبد زاد صلاح باله؛ بحيث إنه لا يمكن للإنسان أن يعيش حياة الإنسانية المكرمة، حياة السعادة والرقي والأمن إلا في ظل الإيمان بالله، ويوم أن يتجرد من الإيمان يعيش حياة البهيمية والعذاب والشقاء، فضلاً عما ينتظره في الآخرة من العذاب العظيم، والنكال الجسيم .

رابعًا: عمل الصالحات، والكف عن السيئات عامل رئيس لحصول صلاح الحال، فالذي يشكو الهموم والقلق، وضيق الصدر والخوف؛ فدونه الترياق المجرب لطيب الحياة وهو "العمل الصالح".

خامسًا: القرآن الكريم يؤثر تأثيراً عظيماً في قلب الإنسان، فهو يزيد من قدرته على التحمل والصبر، وتحمل متاعب الحياة، ويبعث في نفسه الأمن والطمأنينة، وينشر راحة البال، ويغمر العبد بالسعادة والاستقرار، بل إن كلام الله – تعالى- يحي القلوب مهما كانت قساوتها، ويشربها الراحة، ويورثها الخشية والمهابة له سبحانه .

سادسًا: إن الجهاد في الدنيا سبباً لصلاح الحال – إن توافرت دواعيه وأسبابه- فهو طريق لحماية الأنفس أن تقتل، والأعراض أن تنتهك، والأموال أن تسلب،

والأرض أن تغتصب، ففيه الدفاع عن هذا كرامة وصون وحماية، وصلاح للحال والمآل آجلاً وعاجلاً بما أعده الله للشهداء من النعيم المقيم، والجزاء العظيم .

سابعًا: حسن اليقين بالله – عز وجل–، والتوكل عليه هو الطريق الموصل إلى صلاح البال، به يقف العبد المؤمن في أشد الشدائد، وأعظم المكائد، فيكون الله – عز وجل – به رحيمًا، وبحاله عليمًا، فيفرِّج عنه الخطوب، ويزيل عنه الهموم والكروب .

ثامنًا: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحد أعظم أسباب صلاح البال؛ إذ فائدة الصلاة ترجع إلى الذي يصلي عليه؛ لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة، ومتى يظفر المتعبد بمثلها فضلاً عن أنفس منها، وأنى يوازي دعاؤه لنفسه واحدة من تلك الفضائل التي ليس لها مماثل ببركته .

تاسعًا: متى ما صلح البال، استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس بما قسم الله لها، واستمتعت بالأمن والسلام النفسي والمجتمعي .

عاشرًا: الصبر على البلاء، وعدم اليأس من روح الله – عز وجل– أعظم طريق يوصل إلى صلاح البال، والفوز بالرضوان، وحصول السعادة، وتخطي الأزمات، والخروج من النكبات وإلا فالجزع والضجر، والاعتراض على أقدار الله، يجلب النقم والنصب ظاهراً وباطناً .

حادي عشر: عزم النية على الإصلاح والطاعة، وتحمل الأزواج بعضهم لبعض، وسيادة المودة والتفاهم، وتوافر الرضا التام بحال الآخر، وفهم طبيعة كل منهما للآخر، ومعرفة أن الكمال المطلق لله – عز وجل–، ينصلح الحال، ويهدأ البال، وتهنأ المعيشة وإلا ستزداد المشاكل، وتسوء العشرة، وتتفاقم الخلافات، وتحصل الكوارث .

هذا، وأسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا وجميع المسلمين لما في الخير والسعادة والفلاح والنجاح إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- القرآن الكريم – جل من أنزله – .

١) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ط: دار مكتبة الحياة- تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت – لبنان- عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي- ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٥) البحث العلمي – مناهجه وتقنياته – د/ محمد زيان عمر- ط: جدة، ١٣٩٤ه .

٦) البحر المحيط في التفسير- المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل- الناشر: دار الفكر – بيروت- الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٧) تاريخ الأنبياء، د/ الطيب النجار، ط: دار الاعتصام، الثالثة، ١٤٠١ ه = ١٩٨١ م .

٨) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

٩) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين- المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ – ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)- الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

١٠) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي– الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة– الطبعة: الأولى، يناير ١٩٩٧ م .

١٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ .

١٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

١٤) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ه .

١٥) تفسير القرآن، أبو المظفر، السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)– ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .

١٦) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

١٧) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: الرسالة، الأولى،١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية

١٩) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش– الناشر:

دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤م .
٢٠) الجهاد في سبيل الله، مقاصد وآثار، وصفي عاشور أبو زيد، منشورات شبكة الآلوكة – الشبكة العنكبوتية.
٢١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء لابن القيم، الناشر: دار المعرفة – المغرب– الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٢٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي، (١٨/٥)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
٢٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت– الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)– ت: علي عبد الباري عطية– ط: دار الكتب العلمية – بيروت– الأولى، ١٤١٥ هـ .
٢٥) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي– الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٢٦) سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)– الناشر: دار الحديث– الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .
٢٧) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)، ط: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة– عام النشر: ١٢٨٥هـ.
٢٨) السعادة في القرآن الكريم والسنة النبوية، زينب حيدر عادل، جامعة القادسية – كلية التربية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، ١٤٤٠ ه = ٢٠١٩ م .
٢٩) سنن ابن ماجه– المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد

القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .

٣٠) سنن أبي داود - المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت .

٣١) سنن الترمذي- المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)- تحقيق وتعليق:- أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر- الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٣٢) سنن سعيد بن منصور، الناشر: الدار السلفية - الهند- الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.

٣٣) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د/ محمد علي الهاشمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية- الطبعة: العاشرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٣٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الثانية، ١٤٢٣هـ .

٣٥) شعب الإيمان للبيهقي، ط: الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)- ط ٤: دار العلم للملايين - بيروت- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م،

٣٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٤ه - ١٩٩٣م .

٣٨) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي المالكي، الناشر: درا الكتب العلمية، بيروت- سنة الطبع، ١٤١٨ه = ١٩٩٧ م .

٣٩) علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام (ردود على حملات تشويه

صورته في أوروبا وأمريكا) للحسيني الحسيني معدي،- الناشر : دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة ط . الأولى ٢٠٠٧م.

٤٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ه .

٤١) فتح القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر- الأولى، ١٣٥٦ ه .

٤٢) فتح القدير، محمد بن علي بن الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .

٤٣) فقه الإسلام ""شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام""، عبد القادر شيبة الحمد، ط: مطابع الرشيد- المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ ه = ١٩٨٢ م .

٤٤) قالوا عن الإسلام، د/ عماد الدين خليل، الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ ه = ١٩٩٢ م .

٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٤٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)-المحقق: عدنان درويش - محمد المصري- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

٤٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي- ت: حسام الدين القدسي- ط: مكتبة القدسي، القاهرة- عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

٤٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .

٤٩) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٥٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

٥١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ، (٣ / ٢٧٩)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند- الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م .

٥٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، ط: دار الفكر، بيروت – لبنان- الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٣) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – ط: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م .

٥٤) مسند أبي يعلى، ط: دار المأمون للتراث - دمشق- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م .

٥٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)- المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٥٦) المُسنَد الصَّحيح المُختَصَر بنقل العَدل عن العَدل إلى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القَشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٧) مصنف ابن أبي شيبة، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه .

٥٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي- الناشر : دار

إحياء التراث العربي –بيروت– الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
٥٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المُصحف الشّريف، محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الحديث، القاهرة، م: دار الكُتب المصريَّة، جمادى الأُولى، ١٣٦٤ه = ٢٥ أبريل ١٩٤٥م .
٦٠) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة .
٦١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون– الناشر: دار الفكر– عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٦٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
٦٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي– الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .
٦٤) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د/علي سامي النشار، ط: دار النهضة العربية، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤ه.
٦٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة– الطبعة : الرابعة .
٦٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن علي الواحدي، النيسابوري،(ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
٦٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن علي الواحدي، النيسابوري،(ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

. - alquran alkarim - jala man 'anzalah

1. 'adab aldunya waldiynu, lilmawardii (t: 450hi), ta: dar maktabat alhayati- tarikh alnashri: 1986m.
2. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkarim, 'abu alsueud aleimadi muhamad bin muhamad bin mustafaa (t: 982h), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
3. 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqurani, muhamad al'amin bin muhamad almukhtar bin eabd alqadir aljaknii alshanqitii (t : 1393h), alnaashir: dar alfikr - bayrut - lubnan- eam alnashr : 1415 hi - 1995m.
4. 'anwar altanzil wa'asrar altaawil - nasir aldiyn 'abu saeid eabd allah bin eumar bin muhamad alshiyrazi albaydawi (t: 685h), ti: muhamad eabd alrahman almareashali- ta: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut- altabeatu: al'uwlaa - 1418 ha.
5. albahth aleilmiu - manahijuh watiqniaatuh - du/ muhamad zayaan eumru- ta: jidata, 1394h.
6. albahr almuhit fi altafsir- almualafi: 'abu hayaan muhamad bin yusif bin ealii bin yusif bin hayaan 'uthir aldiyn al'andalusi (almutawafaa: 745hi), almuhaqiqi: sidqi muhamad jamil- alnaashir: dar alfikr - bayrut- altabeatu: 1420 hu.
7. tarikh al'anbia'i, du/ altayib alnajaaru, ta: dar aliaetisami, althaalithati, 1401 h = 1981 m.
8. altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>>, muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnisi (t : 1393h), alnaashir : aldaar altuwnisiat lilnashr - tunis, sanat alnashri: 1984 hu.
9. takhrij 'ahadith 'iihya' eulum aldiyn- almualifuna: aleiraqy (725 - 806 ha), aibn alsubkaa (727 - 771 ha), alzubaydii (1145 -

1205 hu)- alnaashir: dar aleasimat lilnashr - alrayad- altabeati: al'uwlaa, 1408 hi - 1987 m.

10. altaerifati, eali bin muhamad alsharif aljirjanii (almutawafaa: 816ha), alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut - lubnan- altabeatu: al'uwlaa 1403h -1983m.
11. altafsir alwasit lilquran alkarimi, 'a.da/ muhamad sayid tantawi- alnaashir: dar nahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie, alfajaalat - alqahirati- altabeatu: al'uwlaa, yanayir 1997 m.
12. tafsir alquran aleazim liabn 'abi hatim, almuhaqaqa: 'asead muhamad altayib, alnaashir: maktabat nizar mustafaa albazi, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeati: althaalithat - 1419h.
13. tafsir alquran aleazim liabn 'abi hatim, almuhaqaqa: 'asead muhamad altayib, alnaashir: maktabat nizar mustafaa albaz - almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeati: althaalithat - 1419 hi.
14. tafsir alquran aleazim li'abi alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathir alqurashii albasrii thuma aldimashqii (almutawafaa: 774hi), almuhaqaqi: muhamad husayn shams aldiyn, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, manshurat muhamad eali bydun - bayrut, altabeatu: al'uwlaa - 1419h.
15. tafsir alqurani, 'abu almuzafari, alsimeanii (t: 489h)- t: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin ghunim, alnaashir: dar alwatani, alriyad - altabeatu: al'uwlaa, 1418hi- 1997m.
16. tahdhib allughati, almualafi: muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alhurawi, 'abu mansur (almutawafaa: 370hi), ti: muhamad eawad mureib, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 2001m.
17. jamie albayan fi tawil alqurani, muhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli, 'abu jaefar altabari (t: 310h), almuhaqiqi: 'ahmad muhamad shakir, ta: alrisalati, al'uwlaa,1420 hi - 2000 m.

18. aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah salaa allah ealayh wasalam wasunanuh wa'ayaamuh limuhamad bn 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughayrat albukhari, 'abu eabd allah (almutawafaa: 256hi) - almuhaqaqi: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir - alnaashir: dar tawq alnajaa (msawarat ean alsultania
19. aljamie li'ahkam alquran = tafsir alqurtubii, almualafu: 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrijii shams aldiyn alqurtibii (almutawafaa: 671hi), tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish- alnaashir: dar alkutub almisriat - alqahirati- altabeatu: althaaniatu, 1384h -1964m.
20. aljihad fi sabil allah, maqasid wathar, wasfi eashur 'abu zid, manshurat shabakat alalwkat - alshabakat aleankabutiatu.
21. aljawab alkafi liman sa'al ean aldawa' alshaafi 'aw aldaa' waldawa' liaibn alqiami, alnaashir: dar almaerifat - almaghribi- altabeati: al'uwlaa, 1418h - 1997m.
22. dalil alfalhin lituruq riad alsaalihina, muhamad eali bin muhamad bin ealan bin 'iibrahim albakri alsidiyqi, (5/18), alnaashir: dar almaerifat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan- altabeati: alraabieati, 1425 hi - 2004 m .
23. rawayie albayan tafsir ayat al'ahkami, muhamad eali alsaabuni, alnaashir: maktabat alghazali - dimashqa, muasasat manahil aleirfan - bayrut- altabeata: althaalithata, 1400 hi - 1980 m.
24. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani- shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusayni al'alusi (almutawafaa: 1270hi)- ti: eali eabd albari eatiat- ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut- al'uwlaa, 1415 hu.
25. zad almasir fi eilm altafsiri, jamal aldiyn 'abu alfaraj aljawzii (t: 597h), t: eabd alrazaaq

almahdi- alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut- altabeata: al'uwlaa - 1422 ha.

26. subul alsalami, muhamad bin 'iismaeil bin salah bin muhamad alhasani, alkahlani thuma alsaneani, 'abu 'iibrahim, eizi aldiyn, almaeruf ka'aslafih bial'amir (almutawafaa: 1182h)- alnaashir: dar alhadithi- altabeati: bidun tabeat wabidun tarikh.
27. alsiraaj almunir fi al'iieanat ealaa maerifat baed maeani kalam rabina alhakim alkhabira, shams aldiyni, alkhatib alshirbinii (t: 977hi), ta: matbaeat bulaq (al'amiriti) - alqahiratu- eam alnashr: 1285h.
28. alsaeadat fi alquran alkarim walsunat alnabawiati, zaynab haydar eadil, jamieat alqadisiat - kuliyat altarbiati- qism eulum alquran waltarbiat al'iislamiati, 1440 h = 2019 m.
29. sunan abn majh- almualafi: abn majat 'abu eabd allh muhamad bn yazid alqazwini, wamajat asm 'abih yazid (almutawafaa: 273hi)- tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi- alnaashir: dar 'iihya' alkutub alearabiat - faysal eisaa albabi alhalabii.
30. sunan 'abi dawud - almualafu: 'abu dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq bin bashir bin shidad bin eamrw al'azdi alssijistany (almutawafaa: 275h)- almuhaqaqa: muhamad muhyi aldiyn eabd alhumid- alnaashir: almaktabat aleasriatu, sayda - bayrut.
31. sunan altirmidhii- almualafa: muhamad bin eisaa bin sawrt bin musaa bin aldahaki, altirmidhi, 'abu eisaa (almutawafaa: 279hi)- tahqiq wataeliqu:- 'ahmad muhamad shakir (j 1, 2) wamuhamad fuad eabd albaqi (j 3) wa'iibrahim eutwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif (j 4, 5)- alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - masir- altabeata: althaaniati, 1395 hi - 1975 m.
32. sunan saeid bin mansurin, alnaashir: aldaar alsalafiat - alhinda- altabeatu: al'uwlaa, 1403hi -1982mi.

33. shakhsiat almuslim kama yasughuha al'iislam fi alkitab walsunati, du/ muhamad ealiin alhashimi, alnaashir: dar albashayir al'iislamiati- altabeati: aleashirati, 1423h - 2002m.
34. sharah sahih albukharaa liabn bataala, ta: maktabat alrushdi, alrayad, althaaniati, 1423h.
35. shaeb al'iiman lilbihaqi, ta: alrushd bialriyad bialtaeawun mae aldaar alsalafiat bibumbay bialhindi, al'uwlaa, 1423 hi - 2003 mi.
36. alsihah taj allughat wasihah alearabiati, aljawhariu (t: 393hi)- t 4: dar aleilm lilmalayin - bayrut- 1407hi - 1987 mi,
37. sahih aibn hibaan bitartib abn bilban, muhamad bin hibaan bin 'ahmad bin hibaan bin mueadh bin maebda, altamimi, 'abu hatim, aldaarmi, albusty (almutawafaa: 354h), almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwta- alnaashir: muasasat alrisalat - bayrut- altabeata: althaaniati, 1414h - 1993m.
38. earidat al'ahwadhi bisharh sahih altirmidhi, liabn alearabii almaliki, alnaashir: dira alkutub aleilmiata, bayrut- sanat altabei, 1418h = 1997 m.
39. eulama' wahukama' min algharb 'ansafuu al'iislam (rudud ealaa hamalat tashwih suratih fi 'uwrubaa wa'amrika) lilhusaynii alhusaynii miedi,- alnaashir : dar alkitab alearabii - dimashq - alqahirat t . al'uwlaa 2007m.
40. fatah albari sharh sahih albukhari, almualafa: 'ahmad bin eali bin hajar 'abu alfadl aleasqalaniu alshaafieii, alnaashir: dar almaerifat - bayrut, 1379 h.
41. fatah alqadir sharh aljamie alsaghira, zayn aldiyn muhamad almadeui baeabd alrawuwf bin taj alearifin bin eali bin zayn aleabidin alhadaadii thuma alminawi alqahirii (t: 1031hi), ta: almaktabat altijariat alkubraa - masira- al'uwlaa, 1356 h.
42. fath alqidir, muhamad bin ealii bin alshuwkanii (t: 1250ha), alnaashir: dar abn

kathirin, dar alkalm altayib - dimashqa, bayrut- altabeata: al'uwlaa - 1414 ha.

43. fiqh al'iislam ""sharah bulugh almaram min jame 'adilat al'ahkami"", eabd alqadir shibt alhamdu, ta: matabie alrashida- almadinat almunawarati, altabeat al'uwlaa, 1402 h = 1982 m.
44. qaluu ean al'iislami, du/ eimad aldiyn khalil, alnaashir: alnadwat alealamiat lilshabab al'iislamii, alrayadi, altabeat al'uwlaa, 1412 h = 1992 m.
45. alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil, almualafi: 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (almutawafaa: 538h), alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut, altabeatu: althaalithat - 1407hi.
46. alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati- almualafi: 'ayuwb bin musaa alhusayni alqarimi alkafawi, 'abu albaqa' alhanafii (almutawafaa: 1094h)-almuhaqaq: eadnan darwish - muhamad almasri- alnaashir: muasasat alrisalat - bayrut.
47. majmae alzawayid wamanbae alfawayidi, lilhaythimi- ta: husam aldiyn alqudsi- ta: maktabat alqudsi, alqahirati- eam alnashri: 1414 ha, 1994 m.
48. almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eatiat al'andalusii (t: 542h), t: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad- alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut- altabeatu: al'uwlaa - 1422 ha.
49. mukhtar alsahahi, 'abu bakr alraazi (t: 666h), t: yusif alshaykh muhamad- alnaashir: almaktabat aleasriat - aldaar alnamudhajiatu, bayrut - sayda- altabeata: alkhamisati, 1420h / 1999m.
50. madarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaeina, alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayruta- altabeata: althaalithata, 1416 hi - 1996m.

51. mureaat almafatih sharh mishkaat almasabihi, 'abu alhasan eubayd allah bin muhamad eabd alsalam bin khan muhamad bin 'aman allah bin husam aldiyn alrahmanii almubarikfuri , (3 / 279), alnaashir: 'iidarat albuhuth aleilmiat waldaewat wal'iifta' - aljamieat alsalafiat - binaris alhinda- altabeatu: althaalithat - 1404 ha, 1984 m.
52. marqaat almafatih sharh mishkaat almasabihi- almualafi: eali bin (sultan) muhamad, 'abu alhasan nur aldiyn almula alharawiu alqariyu (t: 1014h), ta: dar alfikri, bayrut - lubnan- al'uwlaa, 1422h - 2002m.
53. almustadrik ealaa alsahihayni, almualafu: 'abu eabd allah alhakim muhamad bin eabd allah bin muhamad bin hamduih bin nueym bin alhakam aldabiu altahmaniu alnaysaburiu almaeruf biaibn albaye (almutawafaa: 405hi), tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eata - ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa, 1411 - 1990m.
54. musnad 'abi yaelaa, ta: dar almamun lilturath - dimashqa- altabeatu: al'uwlaa, 1404h-1984m.
55. musnad al'iimam 'ahmad bin hanbul, 'abu eabd allah 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani (almutawafaa: 241hi)- almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwt - eadil murshid, wakhrun- 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki- alnaashir: muasasat alrisalati- altabeatu: al'uwlaa, 1421 hi - 2001 m.
56. almusnad alssahyh almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allh salla allh ealayh wasallam - almualafa: muslim bn alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii alnaysaburii (almutawafaa: 261hi) - almuhaqaqi: muhamad fuad eabd albaqi - alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
57. musanaf abn 'abi shibata, alnaashir: maktabat alrushd - alriyad altabeatu: al'uwlaa, 1409h.

58. maealim altanzil fi tafsir alquran = tafsir albughwi, muhyi alsanat , 'abu muhamad alhusayn bin maseud bin muhamad bin alfaraa' albaghawi alshaafieii (almutawafaa : 510h), almuhaqiq : eabd alrazaaq almahdi-alnaashir : dar 'iihya' alturath alearabii -birut-altabeat : al'uwlaa , 1420 hu.
59. almuejam almufaharis li'alfaz alquran alkarim bihashiat almushf alshsharyf, muhamad fuad eabd albaqi, ta: dar alhadithi, alqahirata, ma: dar alkutb almsryat, jamadaa al'uwla, 1364h = 25 'abril 1945m.
60. almuejam alwasiti, almualafi: majmae allughat alearabiat bialqahirati, alnaashir: dar aldaewa.
61. muejam maqayis allughati, 'ahmad bin faris (t: 395hi), ti: eabd alsalam muhamad harun-alnaashir: dar alfikri- eam alnashri: 1399h - 1979m.
62. mafatih alghayb = altafsir alkabira, almualafu: 'abu eabd allah muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymi alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazi khatib alrayi (almutawafaa: 606h), alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeata: althaalithat - 1420 hu.
63. almufradat fi gharayb alqurani, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (t: 502h), t: safwan eadnan aldaawudi- alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut- altabeatu: al'uwlaa - 1412 hu.
64. manahij albahth eind mufakiri al'iislami, da/eali sami alnashar, ta: dar alnahdat alearabiati, bayrut, althaalithati, 1404h.
65. nadrat alnaeim fi makarim 'akhlaq alrasul alkarim - salaa allah ealayh wasalama-almualif : eadad min almukhtasiyn bi'iishraf alshaykhi/ salih bin eabd allah bin hamid 'iimam wakhatib alharam almaki, alnaashir : dar alwasilat lilnashr waltawziei, jidat-altabeat : alraabiea.

66. alwasit fi tafsir alquran almajid, 'abu alhasan eali bin eali alwahidi, alniysaburi,(ta: 468h), alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan- altabeati: al'uwlaa, 1415 hi - 1994 mi.
67. alwasit fi tafsir alquran almajid, 'abu alhasan eali bin eali alwahidi, alniysaburi,(ta: 468h), alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan- altabeata: al'uwlaa, 1415h - 1994m .